

رواية
NOVEL



عبد الله ناصر الداوود

فتاة YouTube



فتاة اليوتيوب

مأساة فتاة إيمو

الطبعة الثانية
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م



عبدالله ناصر الداوود

ⓒ عبدالله ناصر سعد الداوود، ١٤٣٣هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الداوود، عبدالله ناصر سعد
فتاة اليوتيوب. / عبدالله ناصر سعد الداوود - الرياض، ١٤٣٣هـ
.. ص ؛.. سم
ردمك: ٠٠-٩٢١٢-٠٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- القصص العربية - السعودية أ. العنوان
ديوي ٨١٣,٠٣٩٥٣١ ١٤٣٣/١٢٥٠

رقم الإيداع: ١٤٣٣/١٢٥٠
ردمك: ٠٠-٩٢١٢-٠٠٠-٦٠٣-٩٧٨

دار الفكر العربي للنشر والتوزيع
الإدارة العامة - الدمام
تليفون: ٠٣٨٣٣٨٤٤٩
فاكس: ٠٣٨٣٣٥٤٤٠
مسؤول النشر: تليفون ٠٥٩٢٦٤٩١٢٢

دار الفكر العربي للنشر والتوزيع

Alfeker - Alaraby Publishing house
General Admination - Dammam
Tel: 038338449
Fax: 038335440
Publisher: 0592649122

www.daralfkr.com.sa
dar.al.feker@gmail.com
dar.al.feker@hotmail.com
مدونة دار الفكر العربي
واحة القلم الحر
http://www.feker.com.sa

الإشراف والإخراج الفني دار الفكر العربي



١

تحب غدير أن تكون وحيدة وهي تتسوق، وتحب أن تكون وحيدة أيضاً وهي تركب السيارة مع سائقها الإندونيسي في ذهابها إلى المجمعات التجارية، هكذا اعتادت، وهكذا وجدت نفسها تعيش وحيدة.

تكون خلف السائق تماماً، تحاول أن تقلد السيدات في المسلسلات والأفلام عندما يركبن خلف السائق ويثرثرن بالهاتف، من مكانها تستمتع كثيراً وهي تتفحص لوحات المحلات، تحب مشاهدة لوحات النيون وهي تضيء بألوانها الزاهية، وكم كان يجذبها تداخل الألوان، السماوي عندما يختلط باللون البني، الخلفية الزرقاء الغامقة والكتابة باللون الأبيض أو الأصفر، وتكون الجاذبية أكثر عندما تحتوي اللوحة على صورة تعبيرية مثل فواكه منوعة، أو ورود حمراء، أو صور لأطباق شهية.

ما يثيرها أكثر هو الأسماء التي كتبت على اللوحات وخاصة عندما تتذكر أنها قرأت ذات يوم في الصحف أن أصحاب المحلات أجبروا على كتابة أسمائهم، وحيث إن بعض هذه المحلات

بأسماء نساء يديرها رجال فقد كانت تستمتع وهي تقرأ أسماء النساء، يخيل إليها أنها ستقرأ يوماً اسماً تعرفه، تستغرب أيضاً وجود أسماء غريبة لم تسمع بها من قبل، مثل: شفياء .. تركية .. فهدة..

وفي المقابل كانت تتلذذ بقراءة أسماء الرجال التي تراها جميلة، مثل: سامي، وليد، خالد، فيصل، راكان .. وتقف عند اسم " راكان " كثيراً، تتساءل هل هناك ألف بعد حرف الراء أم أن الكتابة الصحيحة دون ألف؟

وعندما اقتنت جهاز البلاك بيري أضاف إلى حياتها متعة، معظم صديقاتها في الجامعة أو في المرحلة الثانوية أو حتى قريباتها لديهن أجهزة مماثلة، في سيارتها تنهمك في الرد على الرسائل التي ترد إليها منهن، وتتناقل معهن الأخبار والصور المضحكة.

عندما تقف سيارتها أمام مطعم راقٍ تحب أن تبقى في سيارتها ليأتي النادل بقائمة الطعام لتختار منها ما يروقها، وغالباً ما تكون أسياخ السمك المشوي مع صحن من ورق العنب الذي تعشقه كثيراً، أما إذا كان المطعم وجبات سريعة فغالباً ما ينزل السائق ومعه المبلغ ليطلب لها وجبة "ماك تشيك" التي تحب



أن تتناولها مع "كولا زيرو" وهي تشاهد فلماً مناسباً على قناة " روتانا سينما " وخاصة إذا كان البطل "أحمد حلمي" الذي تعجبها طريقة أدائه لأدواره.

من وراء زجاج سيارتها المظلل لم يكن هناك من يحاول مشاغبتها، فمن يرفع بصره إلى الزجاج الداكن تكون نظراته عشوائية لا يدري أيوجد أحد بالداخل أم لا؟ تلك الوضعية تريحها كثيراً، فلم يكن ضمن اهتماماتها مشاغبة الشباب أو جذبهم.

ثقة عظيمة حصلت عليها من والدها، قد يكون مصدرها طبيعتها الهادئة، وقد تكون ثقته في تفكيرها وطريقة تعاطيها مع الأمور، وقت تكون روحه المتسامحة، لكن أمها تقف في موقف أكثر حزماً، تنتقدها في أوقات كثيرة، لا يعجبها كثيراً تعاطيها لحياتها، تريد منها أن تكون أكثر نباهة وتفاعلاً مع ما حولها، يقتلها إهمالها لترتيب غرفتها، وفوضويتها الواضحة، وتسويفها في أداء أعمالها.

كان الوقت يميل إلى الغروب عندما ترجلت من سيارتها "الفان"، وتوجهت نحو بوابة مجمع تجاري، دخلت من بوابته الكهربائية ثم سارت نحو محل ملابس مشهور، كانت تبحث

عن فساتين تنفع لعدد من الحفلات والمناسبات التي يحملها هذا الصيف، زواج "لبنى" ابنة خالتها، حفلات نجاح لعدد من صديقاتها، وربما تقيم حفلة نجاح من المستوى الأول في الجامعة.

تجولت بين محال عدة، واشترت ما تريد من ملابس، وكانت سعيدة وهي تحمل مشترياتها فذاك يعني أنها لن تعيد الكرة في الذهاب إلى مجمعات تجارية أخرى، في ختام تسوقها قررت التوجه إلى المكتبة لتشتري بعض الروايات التي تعشق قراءتها، وتنوي أن تستمتع بها في هذا الصيف.

وقفت أمام مجموعة من الروايات صفت بعناية، كم يثير حنقها عندما تجد مجموعة من الروايات التي لا تعجبها وما زالت المكتبات تحرص عليها، مرت عيونها على أكثر من عنوان، وكل رواية يجذبها اسمها تقرأ اسم صاحبها، فإذا ارتاحت للاثنين تصفحت الرواية لتقرأ منها سطوراً عشوائية.

نظرت بحسرة إلى الروايات الأجنبية، بأغلفتها الجذابة، وطريقة تصميمها البديعة، كم تمنت لو أنها تخصصت في دراسة اللغة الإنجليزية لتمكنت من قراءتها، أطلقت تنهيدة على اختيارها لقسم التاريخ، تمنت لو كانت أكثر جرأة في اختيارها



لتخصصها، خوفها من عدم إتقان اللغة، ثم الفشل من المضي قدماً في الكلية جعلاها تغير تفكيرها.

توجهت إلى الروايات المترجمة، رفعت رواية " الخيميائي " للبرازيلي باولو كويلو وشرعت تقرأ سطوراً منها، كانت قد قرأت مقالاً عنها في إحدى الصحف، لكنها لم ترقها، فأعادتها إلى مكانها، وهمت بالبحث عن أخرى حينئذ لمحت شابّاً ينظر إليها، خفق قلبها خفقات سريعة ثم عاد إلى إيقاعه الهادئ، تجاهلته ولم تعره اهتماماً، كانت ترى أن هذا هو الحل الأفضل كي تجعل أي شابٍّ فينفر يتركها في حال سبيلها.

دخلت أحد الممرات ففوجئت به يقبع في نهايته ينظر إليها ويبتسم، بل ورفع ديواناً غزليّاً كاشفاً عن نياته، امتعضت لوقاحته، فكرت أن تصرخ فيه لكن شيئاً ما منعها، فقررت تجاهله، ومشت إلى رف آخر بنظرات مشتتة.

كانت ممن تلبس عباءة مزركشة، وهي دلالة عند كثير من الشباب أن صاحبتها لا تمانع في التعرف على شاب، وهي قناعة تحارب من يؤمن بها، مستشهدة أن نوع العباءة لا دخل له بالعفاف والستر.

أحست به خلفها، يوهم من حوله أنه يبحث عن كتاب، شعرت بقلق كبير، فلم يكن من عادتها أن يلح شاب في متابعتها، كانوا على قلتهم يتركونها بمجرد أن لا يروا منها أي استجابة.

مدت يدها نحو كتاب آخر، وانغمست تقرأ سطوراً منه، وبقيت مكانها لعل الشاب يمل ويتركها، كانت تخشى فيما لو خرجت من المكتبة أن يلحق بها، لن تشعر براحة بالتأكيد وهي تسير وشاب خلفها، كانت تتمنى لو ينتهي هذا الكابوس سريعاً، ظلت تفكر فيما لو خرجت ولحق بها هل ستصرخ فيه؟ أم ستطلب رجل أمن لتخبره بأمر هذا الشاب؟

استرقت نظرات سريعة خلفها فلم تجده، شعرت بقليل من الارتياح مكنها أن تختار روايتين إحداهما مترجمة، والثانية لروائي عربي مشهور، لتتجه سريعاً نحو المحاسب كي تدفع وتخرج.

عند المحاسب ظهر الشاب فجأة، واقترب منها، ليقول بصوت ملائكي: مساء الخير ..

أصابها صوته بهلع كبير، وغدا قلبها يدق كطبول أفريقية مجنونة، وتلاشى نظرها وفقدت الإحساس بالمكان للحظات، ليعود إليها عقلها وتجد نفسها تصرخ فيه: خير إن شاء الله؟ وش

تبي؟ عاد الشاب يقول بصوته الرقيق وهو ينظر إلى جوالها: ما أبي إلا سلامتك .. خذي مني "البن"، عادت تقول بجسم يرتجف: امش من قدامي لا أجيب لك الشرطة ولا الهيئة، ابتعد الشاب وهو يقول: شرطة مرة وحدة ! ما قلنا شيء!

خرج الشاب سريعاً، وبقيت أمام المحاسب وقتاً وهي تعد نقودها ببلاهة ولا تدري كم دفعت وكم أرجع لها المحاسب، دست النقود في محفظتها وخرجت بتوجس من المكتبة لتستقر في محل للماكياج والزينة، أرادت أن تتوثق أن الشاب قد تركها ورحل، هناك ظلت تسترجع صورته في ذهنها، بشرة سمراء وعينان ضيقتان وشفاه سوداء من أثر التدخين.

من مكانها في قاع المحل اتصلت بالسائق وطلبت منه أن يقف أمام البوابة ريثما تخرج من المجمع، لم تكن تريد أن تنتظر كثيراً.

في طريقها إلى البوابة كانت خائفة، مع أنها اشترت الملابس التي تريد، والروايتين اللتين ستعيش معهما أجواء جميلة، لكن تجربة الشاب أصابتها بتوتر شديد، جعلها تسير وكأنها ستسقط، يخيل إليها أنها تسير على أرض لينة، نظراتها مشتتة، وذهنها



يعطيها صوراً مختلفة تارة للشاب وهو يرفع ديوان الشعر وتارة وهي تصرخ فيه، كانت تتذكر كلامها له وتارة تسترجع ما قاله لها.

عندما انفرجت بوابة المجمع الكهربائية وجدت السائق ينتظرها، أسرعت ترمي نفسها داخل السيارة وكأنها الملاذ الآمن، تنهدت بصوت مرتفع وباتت تفكر فيمن يتخذ هذا الطريق وسيلة للبحث عن المتعة.

سارت السيارة في ممرات صغيرة نحو الخروج من المجمع التجاري، وقبل الوصول إلى أحد المخارج فوجئت بسيارة سوداء مظللة تعترض سيارتها، أطلق سائقها الإندونيسي سيلاً من السباب قبل أن ينحسر الزجاج الأمامي الداكن للسيارة السوداء ويطل الشاب بوجهه وهو يرفع ورقة بها أرقام وحروف قائلاً: خذي "البن" .. خذي "البن" ..

انتفضت في مكانها، وجهه وهو يرفع ورقة كتب عليها رقم "البن" خاصته أثار فزعاً غير عادي، خرجت منها صرخة مكتومة، سارع السائق على إثرها لتغيير ناقل الحركة إلى الوضع الخلفي كي يهرب من تهور هذا الشاب، لكن الشاب استدار وضيق عليه الطريق.

عاد يصرخ : خذي "البن" بس .. لم تعد تعرف ماذا تفعل، ظلت تنظر إلى الشاب في ذهول، خيل إليها أنه سيقدم على فتح الباب عليها، عادت لتتوثق أن الأبواب مغلقة بأصابع ترتجف، نزل منها عرق كثير، شعرت به ينساب على صدرها.

نزل الشاب من سيارته وهو يرمي بنظرات سريعة حوله ثم توجه نحوها رافعاً ورقته وهو يردد: خذي "البن" بسرعة .. ظل يكررها وهو يقترب منها، لا تدري كيف انصاعت له، وجدت نفسها تخرج جوالها وبحركات غير مركزة حفظت الرقم، حينها ابتسم ابتسامة ذئب تمكن من فريسته، ثم ركب سيارته وانطلق مسرعاً.



2

استقر رقم الشاب في جوال غدير، كان مثل سوسة في فم نظيف، لا تدري لماذا لم تقرر أن تتخلص منه إلى الآن، لعلها مأخوذة بالدهشة من تلك الطريقة التي استلمت بها الرقم، كان مشهداً مثيراً ولا شك.

في خلوتها وكلما رفعت إحدى الروايتين التهمت منها سطرين أو ثلاثة ثم ما تلبث أن تأخذها الهواجس بعيداً حيث صور الشاب وهو يلاحقها في المكتبة ثم وهي تصرخ فيه بأعلى صوتها، ثم تهوره عند بوابة مواقف السوق التجاري، وبعد أن تنتهي تلك الصور من المرور أمام عينيها ترفع الجوال وتتفحص رقم الشاب، وبدأت تخمن كم فتاة استلمت هذا الرقم؟!

كانت في حاجة إلى أن تتحدث مع أحد، تود أن تخبره بتفاصيل تلك الحادثة، فكرت أن تحكي لأمها، لكنها تراجعت خشية أن تمنعها مستقبلاً من الذهاب وحيدة مع السائق.

وجدت في صديقتها ديما الأذن المناسبة، تعرفت عليها قبل سنتين، عندما كانتا في الصف الثاني الثانوي، وجدت فيها شخصية

مختلفة عنها، فتاة منطلقة بثقة، مع حداثة انتقالها إلى المدرسة استطاعت أن تكسب ود المعلمات وثقتهن، كن يعتمدن عليها في قيادة الفصل والطالبات.

في الجامعة اتفقتا على اختيار التخصص، كان التاريخ هو الاختيار الأجمل في عيونهما، هناك ازدادت العلاقة وقويت، حتى أصبحت الصديقة الأقرب.

وجدتها الأنسب لسماع حكاية مثل حكايتها، فقد باحت لها ديما ذات مرة عن علاقتها بشاب عبر الهاتف، كان ذلك في الجامعة عندما ابتعدت ديما عن أعين البنات لترد على اتصال وردها، وقتئذ صرخ الفتيات بأنه شاب وهي تنكر ذلك، وعندما انفردت بها فيما بعد أخبرتها بحقيقته.

كان الوقت مناسباً، بعد منتصف الليل بقليل، عندما خلد أبواها إلى النوم، اتصلت بديما لتزيل عن صدرها عبء سر ثقيل، لكنها وجدت هاتفها مشغولاً، عاودت الاتصال بها مرات لكن النغمة لم تتغير.

فتحت التلفاز بتثاقل، وجدت مسلسلاً خليجيّاً يحكي مأساة فتاة بلهاء، كانت مثل تلك المسلسلات التي تحكي حرماناً،

ويذرف أبطالها الدموع، بعد أن يجتروا الألم والمعاناة، تعاطفت مع الفتاة، وظلت تتابع أحداث المسلسل وذهنها يشرد للحظات إلى الشاب، وبين حين وآخر تضغط على رقم ديما الذي ما فتئ يعطي نغمة المشغول.

كانت تشعر بشتات في التركيز، صور ذلك الشاب تشدها إلى سرحان لا تعرف طعمه، لم يسبق لها أن تذوقته، تارة يخفق قلبها إذا تذكرت كيف نزل من السيارة وهو يصرخ "خذي البن".. وتارة تبتسم وهي تتذكر عندما رفع ديوان الشعر.

كانت سعيدة وهي تخمن أنه لم يجرؤ على فعل كل ذلك لولا أنها أعجبته، ووجد فيها شيئاً جميلاً، فانساق خلفها يطلب ودها.

بعد ما يزيد على الساعة تغيرت نغمة جوال ديما، انتظرت غدير قليلاً لتسمع صوت ديما يقول في همس:

- **هلا غدير**

- **كيفك ديما؟**

- **الحمد لله .. كيف نتائجك؟**

- **طلعت مادتين وأبشرك تمام .. وحدة سي والثانية بي ..**



وأنت؟

- أنا؟ تصدقين إلى الآن ما أدري عن نتائجي . خايفة من أكثر من مادة .. يالله خليها على ربك .. خير وش فيك متصلة بي هالوقت؟

ترددت غدير كثيراً قبل أن تتجرأ وتشحن نفسها لتحكي حكاية الشاب الذي اقتحم حياتها، وجعلها مأخوذة بتجربة جديدة، لم يسبق لها أن مرت بها، كانت تحكي بحروف متسارعة مشددة على أن لا ذنب لها فيما فعله الشاب.

هونت ديما من روعها، وذكرت أن بعض الشباب يلجأ إلى تلك الحركات الاستعراضية كي يلفتوا أنظار البنات إليهم، ليثبتوا أنهم لا يخشون أحداً، وأنهم قد يخاطرون بحياتهم من أجل الظفر بقلب هذه أو تلك، ثم ذكرت أنها لا بد قد حازت على إعجاب الشاب وإلا ما فعل ما فعل.. هنا سألت ديما :

- كلمتيه؟

أسرعت غدير تقول وبصوت يرتجف:

- لا .. أنا مجنونة؟!

ضحكت ديما قائلة: أجل ليه سجلت الباين حقه؟

عادت غدير بذات النبرة تقول: مدري .. خفت يفتح الباب علي..

ضحكت ديما بصوت أعلى وقالت: لا تخافين ما راح يفتح عليك الباب .. وبعدين تقدرين تقفلين على نفسك.. عموماً عطيني الباين .. خليني أوسع صدري في هالإجازة..

تلكأت غدير وقالت: بس أنت عندك صديق؟ ابتسمت ديما وقالت: يا بنت الحلال كلها سوالف بريئة ولا اشتغلت الغيرة؟!

ثم أعقبتها بضحكات عالية.

سكتت غدير ثم قالت:

- ودي أسألك .. الشاب اللي تكلمينه راح تتزوجينه؟

ردت ديما بصوت خافت: شباب نجد ما يتزوجون البنت اللي تكلمهم .. الواحد منهم يحب يتزوج وحدة ثانية ما يعرف عنها أي شيء ويمكن يكون ماضيها أسوأ من اللي يكلمها ويتخلى عنها مع أنه فاهمها وفاهمته ..لكن وش تقولين تفكير غبي!

سألت غدير: طيب وصديقك هذا يعرف من تكونين؟

ردت ديما بسرعة: لا .. ما يعرف عني أي شي .. مجرد بنت في



هذا الكون.. وبعدين رقمي هذا مو باسمي ولا باسم أحد من أهلي .. رقم اشتريته من محل للاتصالات باسم أجنبي ..

أغلقت غدير الخط ، وباتت تفكر في كل كلمة قالتها ديما، إذاً الأمر لا يعدو مجرد كلام ينتهي مع زواج أحد الطرفين، ثم تنسى العلاقة وتصبح من الماضي، وإن الهدف هو تمضية وقت.

بدأت تغير نظرتها من شيء كانت تمقته وتحتقر من يمارسه، محادثة الشباب عالم لم تدخله لماذا لا تجربه، ها هي صديقتها ديما تشعر بسعادة مع صديقها بل وتطلب رقم الشاب الذي قابلته.

ما المانع من التجربة؟ فرقمها هي الأخرى باسم أجنبي ولن يعرف من تكون، يمكن أن يكونا صديقين تسأل عنه ويسأل عنها، ويعيشان أياماً جميلة تقطع بها أيام وحدتها، ستكون حذرة في علاقتها به، فستكون حريصة على أن لا تنكشف أمام والديها، كما أن إخوتها صغار ولن يدركوا شيئاً، لعل ذلك الشاب يبدد الوحدة التي تعيشها بعد رحيل أختها التي قضت في المسبح وهي في عمر الخامسة عشرة، مضت وتركتها وحيدة.

رأت أن تضيفه وتتواصل معه بالرسائل، لكنها تراجعت لا

تعرف ماذا تقول، ولا كيف تبدأ في هذا البحر المظلم العميق الأسرار.

تذكرت أنها قد اشترت رواية مترجمة عن قصة حب نشأت بين شاب وفتاة عبر الهاتف، نهضت تبحث عنها بين ركام الروايات، أخيراً عثرت عليها، تذكرت أن بدايتها لم تعجبها، بل لم ترق لها الفكرة لحظتها، ها هي الآن تراها جميلة وتستحق القراءة، باتت تتفهم علاقة مثل هذه.

كانت مستمتعة وهي تقرأ سطور تلك الرواية وكيف تعرف الاثنان، كانت البداية عندما أخطأت الفتاة في أحد الأرقام السبعة التي ستوصلها إلى حيث ترقد أمها في مستشفى المدينة، لتساق إلى صوت شاب يعيش وحيداً، كان كلا الاثنين يحتاج إلى الحديث مع الآخر، لذا انسابت الأحاديث بينهما، وظلت شهوراً قبل أن يعرفا أنهما يعيشان في نفس المدينة.

في ذات السوق، التقت غدير مع ديما، أرادت أن تريها مسرح الحدث، وقفت عند باب المكتبة وقالت : هنا التقينا، وهنا رفع الديوان ملوحاً به لي، وعند طاولة المحاسب تحدث معي.

كانت في غاية الفرح وهي تحكي تفاصيل لقائها مع الشاب،



كانت تعتبر ذلك حدثاً غير عادي في حياتها، وأنها أخذت منحى أكثر جمالاً.

في مقهى وسط السوق جلستا تحتسيان قهوة تركية، وتنتظران " العنود " زميلتهما في الكلية، أظهرت ديما امتعاضاً لغدير لدعوتها هذه الفتاة الكئيبة، ذات الملابس السوداء:

- وش عرفك بهالبنت؟ أنت عارفة أنها إيمو؟

- من قال لك؟

- ما شفت كيف تلبس؟ كله أسود في أسود.. حتى شعرها تنزله على وجهها..

- يمكن متعودة تخلي شعرها ينزل على وجهها ..

- أي متعودة إلا أنت اللي طيبة .. كل البنات يقولون عنها إيمو ..

- ياختي يمكن ظروف البنت صعبة ولا بد أنها مجبورة على الحزن اللي تعيشه..

- يا بنت الحلال أقول لك هذي فتاة معقدة وغير قادرة على صنع صداقات .. وهي مبتعدة عن الناس حتى تغطي عيوبها.

سكتت الفتاتان وهما تشاهدان العنود مقبلة إليهما بخطا بطيئة، هنا قالت ديما"

- يا ربيه .. شوفي كيف تمشي بس .. كنها تمشي على بيض..

- خلاص اسكتي ..

- شكلك تحبينها ؟

- مو قصة حب .. بس حرام البنت مسكينة ..

صافحتهما العنود ، وظلت وقتاً مترددة أين تجلس، إلى أن سحبت غدير الكرسي المجاور لها وأشارت لها بالجلوس، والامتعاض يملأ قلب ديما.

لم تنسجم الصديقات الثلاث، كان واضحاً على وجه ديما أنها ممتعضة من العنود التي أحست بذلك، كانت فقط ترد بكلمات قليلة، وتنظر إلى غدير عندما تريد أن تتحدث، بعد ربع ساعة استأذنت العنود بحجة التسوق، نهضت وعيون ديما الحانقة تلاحقها.





3

يومان مرًّا على غدير وهي تعزم أمرها على إضافة " بن " الشاب ثم تتراجع، شيء ما يمنعها عن المضي قدماً نحو التواصل مع من أصرَّ على التعرف عليها.

عندما تتمدد على سريرها وتنظر إلى سقف غرفتها تأخذها الهواجس إلى صور جميلة، إلى ليالٍ جميلة تعيشها في أحاديث مع الشاب، وإلى صور حالمة تتبادلها معه، وأشعار رومانسية تنام على إيقاعها.

كانت تحتاج إلى جرأة كبيرة، تحتاج إلى من يمسك البلاك بيري عنها ويستمر في تصميمه على الضغط على إضافة "البن" ثم إرسال رسالة إليه تعرفه بنفسها، كانت في كل مرة تقرر ثم تعود وتتراجع.

ذات مرة قررت أن تضيفه فحسب، لن تعرفه بنفسها، ولن يكون بينهما مكالمات، ستضيفه فقط، هكذا وجدت الأمر مريحاً لها، سترسل له رسالة، وسترى كيف ستكون ردة فعله.

أخرجت " البن " وعندما همت أن تضيفه تراجعت في آخر



لحظة، ورمت البلاك بيري بعيداً.

ما زال يقتلها خوفها الشديد، ترمي إليه بالكثير من فشلها، تؤكد في كل لحظة أن الخوف جعلها تتخلى عن أشياء تحبها وترضى بأشياء أقل، وأنها لو كانت أقوى مما هي عليه الآن لحققت نجاحات أفضل.

وفي الواقع لم يكن الخوف وحده هو من حجمها، بل كان للحياء دوره في ذلك، فكم كانت تغضب إذا طلبت أمها أن تستعد لاستقبال عدد من السيدات في البيت، كانت تشعر بحرج كبير وهي تقدم لهن الشاي والقهوة، تخشى أن لا تحسن التصرف، أو أن يقع منها شيء فينكسر، أو تتفوه بكلمات لا تليق.

نزلت من غرفتها بتكاسل، كانت تلوم نفسها وتكثر من ذلك، كانت تتساءل لماذا هي هكذا ؟ لماذا صديقاتها يتمتعن بحياة سعيدة بينما هي تتعثر وتتردد في كل شيء؟!

صنعت لها كوب قهوة وصعدت إلى غرفتها، ثم فتحت اللاب توب وظلت تتصفح عدداً من المواقع التي تهتم بها، قررت نسيان الموضوع بأكمله، ظلت تردد أن هذا عالم ليس عالمها، شعرت بعد ذلك بارتياح، ضحكت كثيراً على مقاطع مضحكة

على موقع " اليوتيوب " ، ثم عرجت على "الفيس بوك " ، وقبلت الكثير من الصداقات دون تقصٍّ وبحث عن أصحابها، تذكرت إحدى صديقاتها في الجامعة عندما ذكرت أنها تدقق كثيراً قبل قبول أي دعوة، ارتسمت على وجهها ابتسامة ساخرة من هذه المقولة، متسائلة عن حجم الضرر الذي سيصيبها من جراء قبول صداقة شاب ما.

أدارت التلفاز لتدور بين محطاته وتستقر عند قناة للأفلام تعرض فيلماً عربيّاً، كان الفيلم قديماً، جذبتها بدايته عندما شاهدت تشابه حياتها مع حياة البطلة التي كانت تؤدي دورها الممثلة "ماجدة"، فقد كانت تعيش وحيدة مع خادمتها، وضحكت كثيراً عندما هربت بطة من يدي الفتاة، فخرجت إلى الشارع الترابي تلحق بها، ليمسك شاب وسيم بالبطة الهاربة ويقدمها للفتاة لتتلاقى العيون.

كانت تلك النظرات هي شرارة لحب نشأ بين الاثنين، فهاما في بحر الحب المتلاطم الأمواج، فقد عانى الشاب في الوصول إلى فتاته كثيراً، وكان يتسلق إلى نافذة غرفتها كي ينال منها نظرة واحدة.



لأول مرة تنظر غدير إلى أفلام الحب بنظرة جديدة، كانت تنظر إليها نظرة ضائعة دون أن تجد نفسها مكان البطلة، أو أنه من الممكن أن يكون لها حبيب، هي الليلة فتاة أخرى، بدأت تقارن حياتها بحياة البطلة.

تابعت غدير الفيلم في استرخاء شديد، كانت ترى مغامرة البطل في رؤية فتاته والحديث معها مثل مغامرة ذلك الشاب الذي اقتحم عليها سيارتها، كانت تسقط ما ترى على حياتها، وأن تلك البطلة هي وأن "محسن سرحان" الذي قام بدور البطل هو ذلك الشاب.

مضى الفيلم والشاب يجري خلف فتاته حتى ظفر بها في النهاية، شاهدت كيف كانت سعادتهما وقد أصبحا زوجين.

عند نهاية الفيلم كانت الساعة قد وصلت إلى الثانية بعد منتصف الليل، نظرت إلى جوالها نظرة غريبة، باتت تتمنى لو تتغلب على خوفها وخجلها وتتواصل مع الشاب، وتنهي التردد الذي تعيشه.

أمسكت بالجوال وبدت مصممة على كسر عناده، قليل من الشجاعة تكوَّن لديها، جعلها تسير قدماً في تجربة جريئة، أضافت الرقم وأرسلت له:

" مرحباً "

جاءها الرد سريعاً :

" أهلين.. مين؟ "

ردت عليه :

" وحدة غلطانة "

رد سريعاً :

" نرحب بالغلطانين ونتشرف بخدمتهم "

ابتسمت من رسالته، أطفأت أنوار غرفتها، وأبقت على نور خافت للأباجورة، وظلت عيونها تبرق في الظلام تفكر في تسارع الأحداث، وتتساءل في داخلها هل عرفها؟ هل خمن أنها هي؟ أم تراه خمّن أنها فتاة قد أخطأت فعلاً في الوصول إلى صديقتها؟ أم هي فتاة لعوب تريد تسلية؟

فكرت أن ترسل له رسالة تخبره أنها من استعرض عضلاته أمامها، وقبل أن تحلو لها الفكرة أومض جوالها برسالة، كانت منه، رفعت جوالها وكل الاحتمالات في رأسها، قرأتها بتمعن:

" من بين كل الناس اخترتك .. وفي وسط القلب حفظتك ..



وجوا العين سجنتك .. "

إذاً بدأ يرمي بحباله عليها، لا يعنيه هدف الفتاة فها هو يحاول اصطيادها، يحاول أن يضمها إلى مجموعة الفتيات اللاتي يعرفهن، في تلك اللحظة لم يكن يهمها كم يعرف، بل أن تجد لها مساحة بينهن، فالهدف من العلاقة هو التسلية، ثم هي ستحاول أن تجذبه نحوها، وقد تقنعه بالزواج.

هكذا وجدت نفسها تفكر في هذه الأشياء بسرعة، تخطت كل الحواجز، وقفزت على كل الأزمنة، لتتخيل نفسها عروساً بين يديه.

انتبهت من هواجسها، عادت إلى حقيقة ما هي فيه، فكرت بم ترد عليه، فتشت في جوالها عن رسالة تنفع للرد عليه، فلم تجد سوى رسائل مشاغبات بينها وبين صديقاتها، ضحكت على نفسها، وجدت الحل في الإنترنت، فتحت الموقع الشهير " قوقل " وكتبت في محرك البحث " عبارات حب " فخرجت لها عبارات كثيرة، اختارت منها واحدة:

" من السهل أن يشتاق الإنسان لمن يحب لكن من الصعب أن يجده كلما اشتاق إليه "

لم تمض أقل من دقيقة حتى كانت رسالة ثانية تصل منه، كانت بيت شعر هذه المرة، لتعود إلى ذلك الموقع وتختار منه عبارة حب أخرى وترسلها له، عندها توالت الرسائل بينهما.

ثلاثة أيام مرت وهي سعيدة به، كانت الرسائل تتواصل بينهما، كان مرحاً، ضحكت كثيراً على رسائل تحمل طرفاً مضحكة، وأعجبت بطريقته وتعاطيه مع الحياة، كان منطلقاً، تشعر بذلك من خلال تركيبة كلماته، واختياره لها.

لكن كل ذلك لم يجلب لها السعادة الكاملة، كانت تشعر أن الاختباء خلف رسائل البلاك بيري خوفٌ وضعفٌ، لماذا لا تتصل به، ها هو يلح عليها في كل مرة أن تتصل به، فقد أعطاها رقمه من أول يوم، طالباً أن يسمع صوتها.

هي بأمان، قالت له إن اسمها غيداء، اسم اختارته ذات يوم بعد أن ألح في معرفة اسمها، وجدته اسماً جميلاً، هو أيضاً باح لها بأن اسمه هيثم، وأنه شاب جامعي طموح.

في ليلة استعدت فيها تماما، قررت أن تتصل به، ستسكت ولن تتكلم، ستكتفي بسماع صوته، تعالت الرنات على الخط الآخر، خفق قلبها بقوة مع الرنة الثالثة توقف الرنين، سمعت

صوته الملائكي وهو يقول: ألوو .. سكتت، ما زال قلبها يخفق بقوة، ظلت ممسكة بالجوال، عاد يقول بلهجة مستفهمة: ألو ؟ مين ؟ سكتت أيضاً.. أصبح يكرر سؤاله عن المتصل حتى أغلقت الخط.

رمت بالجوال على السرير وتمددت بجانبه، كانت كمن حقق نصراً كبيراً، ظلت تبتسم وتسترجع صدى صوته في أذنها، كم كان صوته جميلاً، يشعر من يسمعه بالدفء، يجعله يشعر باسترخاء لا يريد أن ينهض منه.

فجأة رن الجوال، توقعتها ديما، اضطربت عندما عرفت أنه هو، باتت مترددة، قررت تركه يرن حتى توقف عن رنينه، تنفست الصعداء، لكنه عاود الاتصال مرة أخرى، فتركته يرن مرة أخرى حتى توقف، أسرعت تغير وضع الجوال إلى " الصامت ".

اتصل ثالثة، كان الجوال يومض بصمت، باتت مضطربة لا تعرف كيف تتصرف، فكرت أن تتصل بديما، تراجعت خشية أن تسخر منها، فقد كان من المفروض أن تكون قد اتصلت به منذ أيام، وجدت الحل في رسالة نصية تكتبها له " أنا غيداء ".



4

غاصت غدير في مكالماتها الهاتفية، كأنها وجدت نفسها في هذا العالم، كل ليلة وبعد منتصف الليل تهرع إلى غرفتها، وترسل له رسالة فارغة، ليتصل بها بعد ذلك ويدوم الحديث بينهما إلى الفجر، ثم تنام بعد ذلك على كل كلمة قالها، وكل كلمة قالتها.

وفي النهار كانت تتصل بديما تخبرها ماذا دار بينهما، كانت ديما تقوم بدور الخبيرة، كانت تحكي لها قصصاً عن شباب تعرفت عليهم، حكت لها كيف تعرفت على هذا، وكيف كان أسلوب ذلك مميزاً، كانت تملك مخزوناً كبيراً من القصص المختلفة.

حكت لها ديما قصة الشاب الذي دامت علاقتها به يوماً واحداً، كان شابّاً متهوراً، بل قد يكون صريحاً جدّاً، لم يكن مثل بقية الشباب يترك العلاقة تسير وحدها، بل كان واضحاً منذ البداية، فبعد مكالمته الثانية طلب أن يقابلها فرفضت ديما رفضاً قاطعاً، فآثر البعد على قضاء وقت مع فتاة لا فائدة منها كما يرى، كان يردد في آخر مكالمة بينهما أن فتاة لا تخرج معه من ثاني مكالمة فتاة لا تناسبه، ولا تستحق أن يضيع معها وقتاً ولا مالاً.





كما حكت لها قصة ذلك الشاب ذي الأخلاق العالية الذي غالباً ما تقتصر مكالماته على الأحاديث العادية، لم يكن يملك جرأة كافية أن يتحدث في موضوعات أبعد من تلك، كانت تحب حديثه وتشتاق لاتصالاته، لكنه انقطع فجأة وأصبح رقمه غير موجود بالخدمة تماماً!

وجدت غدير مع صاحب الصوت الملائكي حياة أخرى، حكت له عن حياتها ودراستها، حكت له عن أختها التي ماتت في مسبح الاستراحة، وعن شعورها بالوحدة بعدها.

سحرها بحديثه، يعرف كيف يتنقل عبر موضوعات كثيرة، لم يكن يفكر عن موضوع ليتحدثا عنه، بل كان ينتقل من موضوع إلى آخر دون ملل أو تكرار، كانت تشعر أنه مشبع بالحديث مع الفتيات، كان ماهراً وهو يخاطب روحها ومشاعرها.

حافظت على هويتها، لم تقدم له أي معلومة عن اسمها ولا الحي الذي تسكن فيه، أعطته معلومات مغلوطة، قالت إنها تسكن في حي شرق الرياض، كما لم تكشف عن طبيعة عمل والدها عندما سألها ذات مرة عنه، كانت ترى في ذلك السؤال فضولاً غير مبرر، لكنها قالت ربما يفكر في الاقتران بها.

كان من توصيات ديما أن تكون مجهولة، لا أن تكون كتاباً مفتوحاً، يمل منه بعد أن يقرأ كل صفحاته، كانت تخشى أن يتركها سريعاً، تريد أن تكون لغزاً يحاول كل ليلة كشف القليل من أسرارها.

طلب منها ذات ليلة أن يراها، في نفس المكتبة، لكنها رفضت ..

- ليه وش فيك؟ خايفة مني؟

- مو قصة خوف .. بس ما تعودت .. أرجوك قدر ظرفي ..

- ما فيه خوف .. راح أكون بعيد عنك.. أبي أشوفك ولو من بعيد ..

- صدقني يا هيثم ما قدر .. إذا أنت تعزني لا تطلب مني هذا مرة ثانية..

- طيب ولا يهمك.. عشان تعرفين بس إني أعزك .. تقولين إنك تدرسين قسم تاريخ؟

- أيوه .. وأنت ما قلت لي وش تدرس؟

- أنا ؟



- إيه أنت .. وش فيك صاير مثل الطالب الكسلان ..

- أنا أدرس محاسبة .. قسم صعب .. لكن هيثم قدها وقدود ..

- وكم بقي لك وتتخرج؟

- سنة وحدة أبشرك .. وأخلص من الجامعة والدكاترة وتهزيئهم ..

- على فكرة وش مواصفاتك لزوجة المستقبل؟

- أممم أبيها تكون ست بيت ممتازة ..

- وش بعد؟

- أبيها تكون بشعر طويل..

- فوق الكتوف ينفع؟

- أكيد ينفع..

- طيب وبعدين؟

- وبعدين تكون مثقفة..

- أنا قارئة روايات بشكل غير طبيعي .. تحب القراءة؟

- مو مرَّة .. بس أحياناً أقرأ الصحف..

- ما تقرأ كتب ؟ روايات؟

- لا ما أحب الروايات.. أحس أنها سخافة ..

- حرام عليك .. تصدق أن بعضها واقعي .. عندي كم رواية تجنن ..

- تراني أقبل الهدايا..

- كيف؟

- يعني أشوفك وتعطيني الروايات ..

- أقول انسى بس .. احلم انك تشوفني ..

اعتذرت أن تكلمه مساء الغد فستكون مشغولة بزواج لبنى ابنة خالتها، لكنها ستتصل به فيما بعد لتعطيه التفاصيل والأخبار.

في تلك الليلة لبست فستانها الذي اشترته من أجل هذا الزواج ، فستان أحمر بخصر ضيق، وأكمام قصيرة، كانت ملكة غير متوجة وهي ترتديه، وخاصة بعد مسحة الماكياج التي صنعتها مزينة في مشغل مجاور.

أخرجت جوالها، وطلبت من إحدى أخواتها أن تلتقط لها

صوراً مختلفة، جلست على السرير وفرشت فستانها عليه واعتمدت على يديها من الخلف، وعندما أضاء فلاش جوالها اتجهت إلى تسريحتها ووقفت أمامها والتقطت لها صورة ثانية، وأخيرة عندما جلست على مقعد تسريحتها بجانب عطورها تبتسم بخفة وكأنها أميرة تنتظر فارسها.

هناك وفي صالة الفندق صافحت ابنة خالتها " لبنى " ودعت لها بالبركة ، وجلستا تتحدثان في أمور شتى، كانت سعيدة وهي تحمل طرفي فستانها بيديها وتسير بين طاولات المدعوات في سعادة لا تضاهى.

في تلك الليلة سهرت إلى ساعة متأخرة، كانت ترى نفسها مكان لبنى، وذاك الشاب مكان عريسها، كانت تشعر بفرح غامر، تعيش أحلام يقظة مصورة، في تلك الليلة كانت فتاة أخرى، هل لذلك الشاب دور في سعادتها؟ هل استطاع ذلك الشاب أن يسد جوعها العاطفي وحاجتها الروحية ليخرج منها فتاة سعيدة؟ قد يكون ذلك .. وقد يكون أنها غدت فتاة أخرى لأنها كسرت الخجل والخوف في داخلها.

مرات قليلة تكون بذات السعادة، عندما تهزم الحياء في داخلها تشعر بسعادة الانتصار، فتغدو كفراشة تحلق في سماء



صافية دون وجل، لا أحد يضاهيها سعادة في تلك الليلة..

في الغد .. سهرت مرة أخرى إلى الصباح مع ذلك الشاب تحكي له تفاصيل زواج ابنة خالتها، حكت له عن تفاصيل الزواج، وعن نظرات النساء إليها وهي ترفل في فستانها الأحمر الجذاب.

طلب منها أن تلبس ذات الفستان وتضع ذات الماكياج، وتفتح له كام الجوال كي يراها ويصدق كل جملة قالتها، وافقت مؤقتاً ثم تراجعت سريعاً، شيء ما جعلها ترفض، خافت من شيء ما، لكنها قالت: إنها تشبه الممثلة الخليجية هيفاء حسين، هنا صرخ:

- **مستحيل.**

- **وليه مستحيل؟**

- **هذيك أجمل فتاة شفتها ..**

- **وليه ما تصدق أني أشبهها؟**

- **لأن السعوديات جمالهم عادي .. صحيح فيه جميلات لكنهم قليلات.**



- وأنا من القليلات .. صدقني .. أنا جميلة فوق ما تتصور..

- اسمعي كل كلامك السابق صدقته .. إلا حكاية الجمال هذا .. اعذريني .. ما أقدر أصدق ..

- وكيف تصدقني؟

- بشيء ملموس ..

- أممم وش رأيك أرسل لك صورة؟

- راح ترسلين أي صورة وتقولين لك ..

- لا لا صدقني .. راح أرسل صورتي .. بس أرجوك أبيك توعدني تحذفها بسرعة ..

- أوعدك..

- قل قسم؟

- قسم ..

كانت قد ملت من إلحاحه المتكرر أن يراها، تريد أن تنطلق إلى خطوات أبعد، تريد أن تستمتع بلحظات أجمل، في كل مرة يكرر رغبته في رؤيتها، يؤكد لها أنه يشعر أنها شيء

مختلف، صوتها الرقيق لا بد أن خلفه مخلوقاً مختلفاً، رأت أن تنهي أسطوانة ملت من سماعها.

فتحت غدير الاستديو في جوالها، وبحثت عن إحدى الصور الثلاث ثم اختارت إرسال، لتسأله بعد وقت هل وصلت؟ فأسرع يقول بلهفة: لا لم يصل شيء ! أقسمت أنها أرسلتها، فبرر ذلك بأن حجم الصورة قد يكون كبيراً، وطلب أن تجرب مع صورة أخرى..

عادت تفتح الاستديو ثم اختارت صورة ثانية وضغطت على خيار الإرسال، لكنه أكد أنه لم يصله شيء بعد! حينها أرسلت الصورة الثالثة وقالت: هذه آخر صورة لي في جوالي .. إذا لم تصل فاعذرني ... هنا صرخ: وصلت الثلاث جميعاً .. ابتسمت في ترقب وهي تنتظر رأيه فيها..

- أنت مو جميلة؟

- حرام عليك ..

- أنت رائعة الجمال .. غيداء تتزوجيني؟

- مدري ..

- ومن يدري؟ بصراحة أنت أجمل بنت شفتها في حياتي ..



Browse Upload Create Account Sign In

أي هيفاء حسين؟ أنت أجمل منها بكثير .. لو شافتك هيفاء راح تعتزل فوراً ..

تمددت على سريرها تستمع إلى كلمات المديح التي شرع يمطرها بها، وشعرت بجسدها يطير بين سحب رطبة، وفراشات ملونة، وطيور مغردة ، فوق عشب أخضر وورود حمراء وصفراء ، تهبط قليلاً لتقطف منها وردة تضعها على شعرها الذهبي الذي يتموج مع الهواء يلثم شفتيها وخديها ثم يعلو خلف رأسها.

فجأة تحول صوته الملائكي إلى صوت ثعلب ماكر .. قال لها: الآن صممت أشوفك ..، ضحكت وقالت: هذا أنت شفتني.. عاد يقول بتلك النبرة: لا.. أبي أشوفك قدامي مباشرة.. ضحكت ضحكة خفيفة ثم قالت: احلم أنك تشوفني ..

هنا قال: أقول راح يصير حقيقة .. اسمعي .. لك مهلة إلى بكرة منتصف الليل .. لازم أشوفك ولا بتشوفين صورك منشورة على اليوتيوب... ضحكت بخوف وقالت:

- **أقول خل عنك شغل الأفلام.. واحذف الصور بس ..**

- **أي أفلام يا قلبي .. تراك ما تعرفيني .. أنا إذا قلت**

نفذت.. فكري زين وإذا قررت أنا موجود .. أنا لحالي في شقة .. وما راح يكون معانا أحد .. لا تنسين بكرة في الليل .. باي يا قمر ..

هنا توقفت عن تحليقها في سمائها الجميلة، لتهوي سريعاً وتسقط على وجهها.





نزل كلام الشاب على غدير كالصاعقة، لم تكن تتصور أن تكون في هذا الموقف، لم تكن تتوقع أن ما تسمعه في مقاطع اليوتيوب من تهديد وابتزاز الشباب للفتيات قد يقع لها، بكت بشدة في تلك الليلة وهي متكورة بخوف على سريرها، بكت وهي ترتجف وذهنها لا يعرف سوى صورها وهي على اليوتيوب.

أغلقت الجوال بعدما ترجته وتوسلت إليه كثيراً، لكنه كان كالصخر جامداً، كالجبل لم يتحرك، ظل يكرر تلك المهلة ويقسم أغلظ الأيمان بأنه سينفذ ما يقول، وأن صورها الثلاث ستكون حديث الناس خلال الأيام القادمة.

أغلقت الجوال تماماً بعد أن عملت له حظراً في قائمة المتصلين لديها، ورمته بعيداً عنها، وظلت تنظر إليه بخوف: رباه ماذا فعلت؟ رباه لا تسخط علي .. رباه لا تتركني وحدي .. في تلك اللحظة عرفت أنها كانت مخطئة، استيقظت من سباتها العميق ولكن على فاجعة لا تقوى على دفعها.

هرعت كالمجنونة إلى الحمام تتوضأ، كان الارتباك والهلع



يسيطران عليها، أسرعت تفرش سجادتها وتصلي وهي تبكي، أدت صلاة سريعة دون وعي، لا تدري ماذا قالت وبم دعت، لكنها توسلت إلى الله كثيراً أن لا ينفذ ذلك الشاب تهديده.

عادت إلى سريرها تطلب الأمن، نظرت إلى جوالها نظرات مريبة، ظلت تستوثق أنها أغلقته، لا تريد أن تسمع صوته مرة أخرى، فكرت فيمن تتصل و إلى من تلجأ، فكرت في أمها، سترمي نفسها في حضنها وتبكي، ستطلب منها أن تجد لها حلّاً، فكرت في أبيها، ستعترف له بكل شيء، أبوها حنون وسيسامحها، وسيلجأ إلى الشرطة لإيقاف هذا الشاب عند حده، وسيزج به في السجن بعد أن ينتزعوا منه صورها، وسترتاح منه إلى الأبد، وستعيش حياة مطمئنة مرة أخرى.

جرت نحو غرفة والديها وأمسكت بأكرة الباب لكنها تراجعت، كان لديها أمل صغير، لماذا تسرع في فضح نفسها والشاب قد لا ينفذ وعيده، فتكون كالتي حفرت قبرها بيديها وهي ما تزال على قيد الحياة، سيكون والداها الخطوة الأخيرة لو نفذ الشاب تهديده ونشر صورها.

عادت تتوسل إلى الله أن يسترها ويعفو عنها، أخذت تردد "

يا ألله ليس لي رب سواك فأدعوه.. ليس لي نصير سواك فأستنصره.. رب اكفني شر ذلك الشاب.. رب استرني ولا تفضحني"

تكونت لديها شجاعة قليلة وفتحت حاسوبها بأصابع ترتعش، لم يكن في بالها سوى موقع اليوتيوب ، أسرعت تفتحه وتذهب إلى المقاطع الجديدة، لم تجد شيئاً، كتبت في محرك البحث " فضيحة فتاة سعودية " ، فلم تعثر على شيء، عادت تكتب " صور غيدا" لكنها لم تجد شيئا، شعرت بفرح صغير، لكنه تلاشى عندما تذكرت أن الشاب قد أعطاها مهلة إلى الغد.

بدت مرعوبة، تارة تفتح الحاسوب وتبحث فيه بعشوائية وتارة تختفي خلف أغطيتها ترتجف خوفاً، لم يكن في ذهنها إلا والداها، ظهرت أمامها أسئلة كثيرة جعلت الدموع تنهمر دون توقف: ترى ماذا سيفعل والدها؟ بأي وجه سيقابل الناس وقد فضحته، أهذا جزاء من أعطاها الثقة واشترى لها الجوال ولم يدقق خلفها؟ أهذا جزاء من سمح لها أن تركب مع السائق دون شك؟ أبعد هذا كله وبعد أن وصلت إلى المرحلة الجامعية تخون الثقة وتلوث سمعته .

ثم أمها المسكينة والتي دائماً ما تشيد بتربيتها، وأن ما

يتحدثون عنه من انحراف الفتيات لا تعرفه كونها فتاة متربية .. أترى ذهب كل شيء في لحظة؟ أمن أول زلة تسقط كهذه السقطة؟ رحماك يا ألله ..

عادت تدعو الله وتتوسل إليه، تعلن التوبة عن كل شيء، أقسمت أنها ستعود فتاة صالحة لا تعرف الخطأ ولا الزلل، ستكفر عن خطاياها السابقة، عادت تسترحمه بضعفها وهوانها وقلة حيلتها.

بكت كثيراً وسالت دموعها غزيرة، كان ذهنها يعمل بأقصى سرعة، تارة تقول : ربما الشاب يرق لها ولن ينفذ ما يقول، وتارة تقول وحتى ولو خرجت الصور فلن يعرف الناس أنها هي، فالشاب لا يعرف عنها سوى رقم ليس باسمها واسم ليس لها، فليفعل ما يفعل، ستظل الصور وقتاً ثم ينشغل الناس بموضوع غيرها، لكنها عادت ترتعد عندما تخيلت أن أحداً قد يتعرف عليها، أو يراها والدها بالمصادفة.

كلما شعرت بارتياح صغير عادت ترتجف مرة أخرى، كانت كل التبريرات التي ذكرتها ليست كافية كي تشعرها بأمان تام، حتى لو أنكرت لوالدها وأقسمت أنها لا تعرف الشاب وأنه مخترق استطاع أن يصل إلى حاسوبها ويقتنص منه صورها، من

سيصدق تلك التبريرات؟ الناس لا تعرف إلا الفضيحة وتركض خلفها أينما وجدت.

مرت صور معرفتها به أمام عينيها، تذكرت أول مرة قابلته في السوق، تذكرت كيف رفع لها الديوان الغزلي، خفق قلبها لما تذكرت كيف اعترض بسيارته سيارتها وأرغمها على استلام رقم "البن" خاصته، لامت نفسها كثيراً بعد الصورة الأخيرة، كيف أنها لم تكتشف أنه شاب غير مريح، فمن يجرؤ على اقتحام سيارة فيها فتاة لا بد أنه سيئ الخلق لا يوثق فيه، عادت تصف نفسها بالبلاهة والغباء.

تذكرت صديقتها ديما لماذا لم تنبهها إلى هذا الشيء، لماذا تركتها تبحر دون نصح حتى غاصت في مياه ضحلة، لماذا سهلت لها الدخول إلى عالم مليء بالأشباح والصور المرعبة، لقد كانت ديما أكثر منها ذكاء، منذ سنوات وهي على علاقة بالشباب دون أن يحصل لها أذى، كيف هي ومن أول علاقة وقعت فريسة لشاب لعوب؟!

مضى الليل دون نوم، بل لم يغمض لها جفن، وكيف تنام والرعب يسيطر عليها، شرعت تفكر في حل، لديها مهلة

إلى منتصف ليلة الغد، يجب أن تستغل تلك المهلة في البحث عن حل سريع، ترى هل تتصل بالشرطة وتطلب منهم القبض على الشاب بعد أن تعطيهم رقمه؟ ترى هل سيتصرفون دون أن يعرفوا من هي ومن تكون؟ أم لا بد أن يكون والدها حاضراً معها ومطلعاً على كل شيء؟

لم تجد في ذلك حلّاً مقبولاً، باتت تفكر في غيره، هل تتصل به وترجوه أن يتركها وشأنها؟ ستبكي عنده لعله يرق لها .. سترجوه وتتوسل إليه، أو يمكن أن تقابله في نفس المكتبة التي قابلها فيها أول مرة، يمكن أن تأخذ منه جواله بأي حجة ثم تمسح كل صورها.

لكن هذا الحل لم يرق لها أيضاً، فقد يكون محتفظاً بالصور في مكان آخر أو قد لا تسير الأمور كما خططت له، فتخسر أكثر مما خسرت.

ذهب الليل وأشرقت الشمس، وبدأت تسمع صوت الطيور وهي تغرد في سعادة، تمنت أن تكون طائراً، لا هم له إلا رزقه وصغاره، لا يعرف الإنترنت ولا الجوال والفضائح، عالم بريء طاهر لا يعرف الحقد ولا الحسد، عالم لا يعرف المكيدة ولا الخديعة.

في التاسعة استيقظ إخوتها الصغار، وبدؤوا باللعب والمرح،

تذكرت عندما كانت صغيرة تلعب ببراءة، لا همَّ في قلبها ولا خوف، ما كان يخيفهم وقتها سوى قصص اللصوص والجن، عدا ذلك لم يكن هناك شيء يقلقهم، تنام في أي وقت وفي أي مكان، ما أن تشعر بالتعب حتى تغمض عينيها وتخلد إلى نوم عميق، وحدها المدرسة كانت تفسد نومها اللذيذ .

قررت أن تنزل عندهم، مكوثها وحدها في غرفتها سيجعلها تشعر بخوف كبير، ستحاول أن تبدو الأمور على ما يرام، ستحتفظ بسرها في صدرها، ستكتم كل شيء ولن تحكي لأحد، وعندما تسأل عن سر شحوبها، فسيكون العذر أنها لم تنم كونها تشعر بصداع جراء حفلة زواج ابنة خالتها.

نزلت تجر خطاها إلى صالة الدور الأرضي، تمددت على صوفة وباتت تنظر إليهم وهم يتابعون " توم وجيري" كانوا يضحكون على الخدع التي يصنعها " جيري " ويقع فيها "توم"، صغير يفعل الأفاعيل بحيوان أكبر منه وأكثر ذكاء، لكن ذلك غير مقبول في الواقع، فكيف لها وهي ضعيفة أن تأخذ حقها من ذلك الشاب الأقوى منها، ظلت تتمتم : حتى أفلام الكارتون صارت تضلل الناس وتخدعهم!

مضت ساعات وهي في مكانها، تشعر بكسل كبير، بعد العصر تعبت تماماً، صوتها أصبح مبحوحاً وتركيزها ضعف تماماً، قررت أن تصعد إلى غرفتها وتحاول أن تنام ولو ساعة واحدة، تتمنى لو تنسى هذا الكابوس ولو لثوان معدودة.

حاولت أن تشغل نفسها بترتيب غرفتها، عثرت على ألبوم صور قديم، فتحته وظلت تتنقل بين صوره بأسى، كان يحكي رحلتهم إلى جدة قبل عشر سنوات، كانت طفلة جميلة، وبجانبها أختها، صورة وهما تلعبان على رمال البحر، وأخرى وهما تخرجان من البحر، وثالثة وهما تصنعان قلعة ترابية، صور كثيرة كانت غدير تبكي تلك الأيام وتتمنى أن تعود.

توقفت عن فكرة ترتيب الغرفة، كانت في وضع لا تحسد عليه، أعصابها بدأت تتلف، معدتها زادت حموضتها، تقلصات كثيرة تعبث بها، غثيان شديد يشعرها بدوار، ورغبة في القيء تزيد من معاناتها.

ارتمت على سريرها تبكي، وعيونها تنظر إلى الساعة تحصي الدقائق والساعات المتبقية على الوقت الذي حدده الشاب،

كان القلق يأكلها والدقائق والساعات تسير حثيثة نحو منتصف الليل، حيث الفضيحة التي ستسقطها أرضاً، حيث البكاء والعويل الذي لا ينقطع، حيث تتوقف الحياة.



6

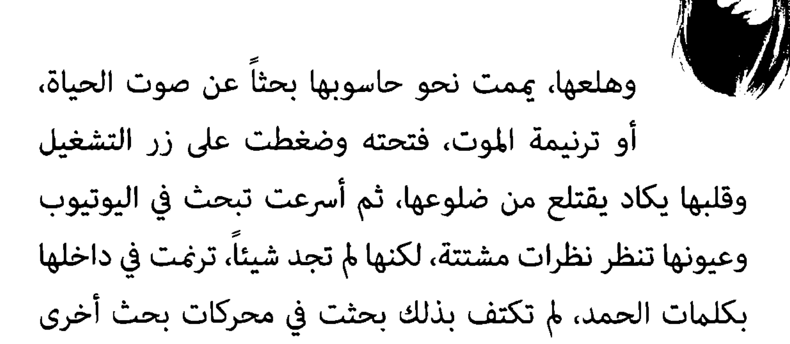
انتصف الليل .. وانتهت المهلة التي حددها الشاب ..

كانت غدير تنتفض ويزداد خوفها والوقت يمضي نحو النهاية، عما قريب ستحين ساعة الفضيحة، سترى صورها الثلاث على موقع عالمي يزوره الآلاف، سيرن هاتف بيتهم كثيراً، سيعلنون أنهم رأوا صورة غدير على الإنترنت، بفستانها الذي حضرت به حفلة الزواج، سيطلبون منها أن توضح لهم الحقيقة.

كانت الدقائق تركض نحو النهاية، ومع اقترابها من ساعة الصفر كان الخوف يكبر في داخلها كجنين سفاح يقترب من فضح أمه.

أصبحت كالمجنونة لم تعد تدرك ما حولها، تارة تدس نفسها تحت أغطية سريرها، وتارة تهرب إلى حمامها تخلو بنفسها وتبكي، فكرت في قتل نفسها والتخلص من حياتها، ستشرب مبيداً ينهي كل شيء، لكنها خافت وتراجعت، فكرت أن تفتح الباب وتهرب، ستكتب رسالة لوالديها ثم تهرب إلى المجهول.

بعد ساعة توقفت عن البكاء الهستيري، انتفضت على خوفها



وهلعها، يممت نحو حاسوبها بحثاً عن صوت الحياة، أو ترنيمة الموت، فتحته وضغطت على زر التشغيل وقلبها يكاد يقتلع من ضلوعها، ثم أسرعت تبحث في اليوتيوب وعيونها تنظر نظرات مشتتة، لكنها لم تجد شيئاً، ترنمت في داخلها بكلمات الحمد، لم تكتف بذلك بحثت في محركات بحث أخرى وبكلمات مختلفة، لكنها أيضاً لم تجد شيئاً.

لا تدري أتفرح أم أن الوقت لم يحن بعد، ربما جلادها يعطيها فرصة للحياة، لا يريد أن ينتصر في المعركة بموت سريع للضحية، يريد أن تأتيه الضحية راكعة .. وقتها يكون الانتصار ألذ..

تذكرت جوالها، لم تفتحه منذ ليلة أمس، قررت أن تواصل شجاعتها وترى ماذا يحمل لها؟ وإلى أين تسير هذه المعركة غير المتكافئة؟ معركة وجدت نفسها تخوضها دون إرادتها.

سارت بخطا مضطربة نحو درج التسريحة، سحبته فلم ينفتح كليّاً، انفرج جزء منه، خيل إليها أنه لا يريدها أن تعرف ما يحمل لها من رعب في داخله.

سحبته بقوة فانفتح الدرج وظهر الجوال، نظرت إليه نظرات حسرة، تذكرت عندما اشترته أول مرة كانت سعيدة به، ظلت أياماً تستكشف مزاياه، ها هي الآن تود لو تحطمه على

صخرة فتحوله إلى فتات من خردة لا ينفع.

ضغطت على زر التشغيل، ثم أدخلت أرقام الشريحة السرية، ثم انتظرت اكتمال تشغيله، لم تمر ثوانٍ حتى سمعت صوت ثلاث رسائل تستقر في صندوق الرسائل.

كانت الرسالة الأولى إعلانية، شركة تقدم تخفيضات على مبيعاتها، الحياة في الخارج تدور عجلاتها، بينما حياتها متوقفة، زادها ذلك حسرة وألماً، فتحت الثانية كانت تعلن عن اتصال تلقاه جوالها أثناء فترة إقفاله، وكانت المتصلة ديما، أما الثالثة فهي التي جعلتها تبحث عن الأرض كي تستقر عليها، كانت منه كتب لها يقول: " وينك؟ ما رديت علي ؟ تراني مصمم .. قسم بالله لأفضحك .. يا الله أنا أنتظرك .."

إذاً لن يتركها في حالها، مصمم على تنفيذ تهديده، لا تدري كيف تتحول قلوب بعض الناس إلى هذه القسوة؟ كيف تحول ذلك الصوت الملائكي إلى وحش مسعور يتلذذ بنهش ضحيته؟ انهمرت دموعها كمطر صيف مفاجئ، فكرت أن تذهب إليه، أن ترد عليه بأنها قادمة في الغد، لكنها خافت أن يستغل ضعفها ويطلبها مراراً، أو أن يمضي في تفكيره إلى ما هو أبعد فتخسر شرفها.



عادت تقرأ الرسالة بتمعن، كانت القراءة الأولى طائشة، قرأتها كثيراً، حفظتها جملة جملة، وكلمة كلمة، شعرت بخسته ودناءته، وبغبائها وضعفها.

أغلقت الجوال وتهادت إلى سريرها .. ذهنها مشغول بماذا سيصنع؟ تمنت لو استطاعت أن تقفز إلى أسبوع من الآن أو شهر. تريد أن تعرف ماذا سيحصل؟ هل سينشر صورها؟ أم ستمضي الأيام سليمة وسيرق قلبه لها ويتركها؟

خطر لها أن تدمر جهازه، سمعت عن فايروس الجوال، كثيرات أصيبت أجهزتهن بهذا الفايروس وتعطلت، لكن وما يدريها أن العملية ستنتهي على خير .. ربما جواله محصن ضد الفايروسات، أو أنه لا يستقبلها!

تركت الأمر لله.. وعادت تتوسل وتدعو حتى تعبت، عزمت على النوم، لكن كيف تنام وقلبها يخفق كلما ظهرت لها صورها الثلاث على الإنترنت، تعبت من البكاء، جفت دموعها في مقلتيها، أصبحت تبكي بلا صوت أو دموع.

مرت كل لحظات التعاسة في حياتها، بدأت تندب حظها في كثير من الأمور، باتت تؤكد أنها سبب موت أختها، هي من أجبرت والدها على الذهاب إلى الاستراحة، لو لم تصر على ذلك

الطلب لكانت أختها معها الآن، تستشيرها وتخفف عنها، ثم هي من طلب منها أن تبرهن على إجادتها في السباحة، كانت أختها تصرخ لقد أصبحت سباحة ماهرة، فطلبت منها أن تبرهن على ذلك .. أن تذهب إلى وسط المسبح .. وهناك غرقت، ظلت تضرب بيديها على الماء حتى توقفت، صرخت تستنجد بأمها، لكن كلتيهما لا تعرفان السباحة، حينها صرختا وخرجتا من الاستراحة تبحثان عمن ينقذها، أبوها كان يحضر بعض الطلبات من البقالة القريبة، وعندما حضر أخرجها من المسبح جثة هامدة.

زادت هذه القصة من الضغط عليها، تمنت لو تموت وترتاح من حياتها، لم تعد تحتمل مزيداً من الألم، كيف لها أن تعيش وقد كانت سبباً في موت نفس بريئة، ولم تك أي نفس بل هي أختها، من خرجت معها من رحم واحد، من عاشت معها سنوات في غرفة واحدة، من كانت تلعب معها وتمرح.

لا يمكن أن تتحمل المزيد من الألم، فكرت أن تنتفض وتصرخ، سترمي نفسها في صالة البيت وهي تتألم بصوت عالٍ، ستقول إنها مريضة، ليحملها والدها إلى المستشفى وهناك سيعطونها حقنة منومة، ستشعر بالأمان بينهم، جلوسها وحدها هكذا يجعلها تحترق تدريجياً، ستصاب بالأمراض حتماً.

غفت عيناها عدة مرات، لكنها كانت تفتحهما وهي تتنهد بخوف، ثم تعود تتوسل النوم، تود أن يموت ذلك الشاب وتموت معه صورها، صارت تدعو عليه.

شعرت بجوع ، لكن كيف تتناول طعاماً وهي تشعر بغثيان يتصاعد من معدتها، قررت أن تأكل رغم ذلك، نزلت وصنعت لها ساندويتشاً بالجبن، دفعته بمشروب غازي، ليستقر في معدتها كصخرة لا تتفتت.

طفقت تفكر في احتمالات كثيرة فيما لو ظهرت صورها، سيلوكها الناس أياماً ثم ينسونها، ماذا ستخسر؟ لن يتقدم أحد لخطبتها؟ لن تتزوج .. وقد يطلبها شاب لا يعرف شيئاً عن فضيحتها، صديقاتها في الجامعة سيلكن قصتها أياماً ثم ينسينها، ستنسيهن دوامة المحاضرات والمواد، سيصرخن في وجهها بالفضيحة، سينظرن إليها نظرات فيها سخرية؟ حسناً .. لن تذهب إلى الجامعة.. ستبقى في البيت دون دراسة، وقد تغير الجامعة، ستدرس أي قسم، لا يهم التخصص ما يهم هو الشهادة.

كانت ترسل إلى نفسها إشارات اطمئنان، ما تلبث وقتاً حتى تنسف كل ذلك لتبكي ألمها وحظها العاثر.

ترى ماذا يكسب هذا الشاب من فضيحتها؟ لماذا لم يترك

العلاقة تسير في هدوء؟ لقد كانا ثنائيّاً جميلاً، لقد حكت له عن كل شيء، عن حياتها .. آلامها .. أفراحها .. أمنياتها .. حتى الطبخات التي تجيدها .. كل شيء . كل شيء.. ماذا سيستفيد من هذه اللعبة القذرة؟ ماذا سيستفيد من تدمير فتاة في ريعان شبابها؟

ما أقسى هذه الدنيا وأعنف وحشيتها! عرفت الآن أن لها وجهين، وجهاً جميلاً بريئاً، وآخر قبيحاً شريراً، كان عليها أن تكون أكثر حذراً، لماذا أرسلت صورها وببلاهة إلى شاب لا تعرف عنه إلا صوتاً ملائكيّاً كان يخفي خلفه نفساً شريرة؟ كيف لم تكتشفها من سلوكياته؟ كيف اطمأنت لأحاديثه الماكرة؟ وكيف أوهمها أنه لم يستلم أي صورة وهو ينتظر المزيد؟ حمدت الله أنها لم ترسل صور أخواتها أو أمها.. كم كانت ساذجة غبية!

في لحظة هدأت أنفاسها، وذهبت في نوم مضطرب ..





فتحت عينيها فجأة .. نظرت سريعاً إلى الساعة، أصيبت بإحباط عندما اكتشفت أنها لم تنم سوى ساعتين! تمنت لو أنها نامت يوماً أو اثنين ..

عادت تفكر في مشكلتها، لم ترتح منها حتى في نومها، رأت في تينك الساعتين كل شيء مخيف، مخلوقات شريرة، وأشباحاً طائرة، وعيوناً حمراء، ورجالاً بملابس سود، وكلاباً مسعورة.

قررت أن تتحرك، ستموت إذا بقيت في غرفتها وتنتظر موتاً قد يأتي وقد لا يأتي، يجب أن تفعل شيئاً، ستقتل نفسها إذا بقيت هكذا، ذاكرتها لم تعد تمدها إلا بصور قاتمة، كل موقف في حياتها مرت به وتعاملت معه بسوء كان يقفز أمام عينيها، ويشعرها بألم كبير..

تعبت من كل شيء، سيتوقف قلبها في أي لحظة، و قد تسقط أرضاً، سيفتضح أمرها، سيقول لهم الطبيب إنها تعرضت لصدمة عصبية، في لحظة الضعف تلك ستعترف بكل شيء، وستحدث الطامة الكبرى.



فتحت حاسوبها، لم تشأ أن تدخل إلى موقع اليوتيوب، فتحت موقع قوقل، وكتبت "مراكز استشارات أسرية ونفسية" فخرجت لها مراكز معدودة، اختارت أقربها إلى بيتها.

تفحصت حقيبتها، وجدت مبلغاً من المال تبقى من مكافأتها الجامعية، ستقول لأمها إنها ستذهب إلى السوق، ومن السوق ستقوم بمغامرة صغيرة، ستستقل سيارة أجرة إلى مركز الاستشارات، ثم ستعود سريعاً إلى السوق، يجب أن تتناول منوماً، أو مهدئاً، لن تبقى هكذا تموت ببطء.

وافقت أمها على امتعاض، مستغربة من حكاية السوق هذه، مستغربة كيف تذهب وهي بهذا الإرهاق؟ فردت بصوت مبحوح أنها لن تتأخر .. ستشتري كتاباً وتعود .. مطت الأم شفتيها باستغراب.. وطلبت أن تأخذ معها أحد إخوتها، أو تتصل بإحدى صديقاتها، لكن خرجت سريعاً وهي تردد : ما راح أتأخر ..

سارت السيارة الفان إلى سوق تجاري هو الأقرب إلى مركز الاستشارات الأسرية والنفسية، طلبت من السائق أن ينتظرها هنا ولا يتحرك، دخلت من بوابة وخرجت من أخرى، كانت بالكاد تضبط قدميها.

وقفت دقائق وكأنها ساعات تنتظر سيارة أجرة، خفق قلبها بشدة عندما خطرت لها فكرة أن سائق الأجرة قد يخطفها، ستذهب من فضيحة إلى أخرى أكبر، تماسكت ، دعت الله أن يكون السائق ذا قلب طيب.

توقفت سيارة أجرة، ودنت منها بخوف، ركبت وسكتت، التفت إليها السائق الآسيوي، وبلكنة عربية مكسرة سألها عن وجهتها، عرفت أنها ركبت دون أن تقول شيئاً، وبصوت مبحوح كانت الحروف تخرج من قاع بطنها: الإشارة الثانية لو سمحت.

اقتربت السيارة من المركز ومعها اقترب الأمل، الأمل في الحصول على حل يخرجها من هذا الكابوس القاتل، ستعترف بكل شيء .. ستقول كل شيء .. ستطلب الحل السريع قبل أن تموت أو تصاب بأمراض قاتلة.

نزلت ومشت مهرولة نحو المركز، فجأة أطلق سائق الأجرة عدة منبهات، التفتت إليه وهي تتحسس حقيبتها، خشيت أن تكون قد نسيت شيئاً، أنزل زجاج السيارة وهو يسألها عن الأجرة، دست يدها في حقيبتها وأخرجت عشرة ريالات دفعتها إليه في خجل.



وقفت عند الاستقبال، وترنحت على طاولته، وبصوتها المتعب طلبت مقابلة أخصائية على وجه السرعة، طلبت منها الموظفة أن تملأ بعض البيانات مؤكدة أنها ستكون سرية، ولن يطلع عليها أحد.

اكتفت غدير باسمين، اسمها واسم أبيها، وسجلت هاتفها النقال عنواناً لها، طلبت منها الموظفة أن تنتظر في انتظار النساء. هناك وجدته يعج بالكثيرات ممن يشكون الألم، ويطلبن الحل والاستشارة.

اختارت مكاناً قصيّاً وارتمت فيه، كانت تشعر ببعض الأمان والارتياح، شعرت بنشاط غريب، ابتعد عنها الكثير من الخوف، ساعدها ذلك أن تلقي نظرة على بعض الجالسات، لفت انتباهها المرأة التي عن يسارها، كانت تتنهد بين حين وآخر، لا بد أنها تشكو من أمر أصعب منها، هكذا خمنت وهي تشاهدها بعد فترة وأخرى يتحرك رأسها وصدرها بتنهيدة مسموعة.

أخرى كانت تدور في جزء من حجرة الاستقبال، تدور في قلق واضح، وأخرى منشغلة بالحديث مع جارتها، ورابعة تنظر خلف غطائها إلى الجالسات بعيون توجسية.

خمس وأربعون دقيقة احتاجتها غدير كي تدخل إلى الأخصائية المعالجة، اختارتها غير سعودية، زيادة في السرية، خشيت أن تكون الأخصائية السعودية من أقاربها أو تعرفها، تريد أن تجد حلّاً لا زيادة في المتاعب.

أسرعت غدير تسرع الخطا نحو غرفة رقم ثلاثة، تسير بحثاً عن حل لمشكلة قد تحطم حياتها، باتت تفكر هل لدى الأخصائية حل لها؟ أم مجرد كلام مخدر ستبثه إلى نفسها المضطربة حتى تهدأ؟ مهما يكن فهي بحاجة إلى كل شيء، ستطلب منها أن تصرف لها دواء يجعلها كالمخدرة تنسى آلامها.

وقفت أمام الباب، ثم طرقته بخفة، سمعت صوتاً يقول: تفضل، وضعت يدها على أكرة الباب، وأدارته إلى الجهة اليسرى، فتح الباب على طبيبة أردنية، بخمار بني غامق، وبلوزة مشجرة، وتنورة جينز ، وعلى وجهها ألق واضح.

ابتسمت غدير وهي تغلق الباب وتقترب منها، رحبت بها المعالجة وأشارت إليها بالجلوس على مقعد مواجه لها، طلبت المعالجة بعض الثواني لتنهي شيئاً ما في يدها، كانت تقصد أن تعطيها فترة لالتقاط الأنفاس، دارت خلالها غدير بعينيها في

أرجاء الغرفة، لم تجد شيئاً يلفت الانتباه سوى بعض الرسومات التي علقت على الجدران، عدا ذلك يبدو المكان عاديّاً.

أنهت المعالجة عملها في الحاسوب والتفت إلى غدير مستفهمة عن شكواها، ردت غدير بصوت مبحوح: أنا خائفة.

لم تكد تسألها المعالجة عن سبب خوفها حتى انهمرت في بكاء جارف، كانت مثل بركان ماء وجد متنفساً، نهضت المعالجة واحتضنتها، وظلت دقائق تهدئ من روعها، حتى سكنت قليلاً.

هنا حكت غدير للمعالجة حكايتها، وكيف أنها تلك البنت التي لم يكن في بالها سوى دراستها وحياتها العادية، وكيف أصبحت فريسة لشاب خدعها بكلامه المعسول، لتقدم صورها حبلاً على رقبتها.

طمأنتها المعالجة بأن بعض الشباب يستعملون هذا الأسلوب كي يلووا ذراع الفتيات الضعيفات، لذا يجب أن تكون قوية، وأن كل مشكلة لها حلول، وأول هذه الحلول هو أن تبلغ جهات الاختصاص وسيقبضون عليه.. وينتهي ذلك الألم سريعاً.

لكن غدير رأت في هذا حلّاً قد يكلفها الكثير، لذا طلبت حلّاً آخر، بعيداً عن الكشف عن هويتها، أو اللجوء إلى شرطة أو غيرها، فذكرت المعالجة أن الحل الآخر يكمن في أن تقطع علاقتها فوراً بذلك الشاب، وأن تلغي هذه الشريحة من الآن، كما يجب عليها الابتعاد كليّاً عن الإنترنت، وأن تشغل نفسها بأي شيء، كما يجب عليها أن لا تجلس وحيدة.

شعرت غدير ببعض الارتياح، وتفككت بعض حبال كانت تخنقها، وسألت المعالجة عن مدى إمكانية أن ينشر الشاب الصور، فقالت : الاحتمال ضعيف، لأسباب كثيرة، أولها أن لا عداوة بينك وبينه، ثم إن هذه الصور هي السلاح الوحيد الذي يملكه، ولن يفرط فيه بسهولة، ثم على فرض أن صورك ظهرت لأي سبب، بإمكانك الاتصال على جهات الاختصاص ويحجبون الموقع، بل ويمكن في موقع اليوتيوب مراسلة إدارة الموقع والشكوى من أن هذه الصور شخصية فتزال، ثقي أنك بخير.. ما أطلبه منك هو الابتعاد كلية هذه الأيام عن الإنترنت مهما كانت الأسباب، ثم إن عليك الخروج مع صديقاتك وإشغال نفسك كما قلت لك بكل شيء مفيد.

بعدما شعرت المعالجة بارتياح غدير طلبت منها أن تستلقي

على مقعد مجاور يشبه السرير، وطلبت منها أن تتمدد باسترخاء، وذكرت أنها ستجري لها جلسة استرخاء، يجب أن تمارسها كل يوم أكثر من مرة.

طلبت المعالجة من غدير أن تشد وبأقصى طاقتها على يديها ورجليها ثم ترخيها، وكررت ذلك مرات عدة، عندئذ طلبت منها أن تسحب نفساً بكل ما لديها ثم تحبسه ثواني ثم تخرجه على دفعات، وأخيراً تشعر كل جزء من جسمها بالاسترخاء بداية من الرأس وانتهاء بالقدمين وكأن الألم يخرج منهما.

بعدما شعرت غدير ببعض الارتياح ذكرت للمعالجة بأن هناك أمراً يقلقها لا يقل شأناً عن موضوع الصور، هذا الموضوع هو قصة أختها التي قضت في المسبح، كانت صورها وهي ممددة لا تفارق عينيها وأنها سبب موتها.

هنا ذكرت الأخصائية بأنها ستتحدث معها في هذا الموضوع في الجلسة الثانية، فقد سار الوقت على نحو سريع، وهناك من ينتظر دوره، ابتسمت غدير وخرجت شاكرة.



8

في سيارة الأجرة التي عادت بها من المركز كانت غدير تعود بكثير من الأمل بالخلاص من هذه الطامة التي ستقضي عليها، كانت مصممة على أن تكون أكثر قوة، فما كان بالقوة لا حل له إلا بالقوة، تذكرت أستاذة التاريخ عندما علقت يوماً على إحدى الحروب : إن الدول القوية لا يمكن لها أن تهجم على دول قوية مثلها، بل تتجرأ على دول صغيرة ضعيفة.

لن تترك له فرصة أن يتلاعب بمشاعرها كيفما يشاء، لن تتركه يثير الرعب في قلبها كما يحلو له، لن تستسلم لتهديداته ولن تكون صيداً سهلاً ، ستكون قوية بما يكفي كي تقف على قدميها، الحياة ممتدة ولن تقف عند حاجز معين، ستكون هذه القصة من الماضي في يوم من الأيام، فالشاب حتماً هدد قبلها الكثيرات، ولم تشاهد لهن صوراً على الإنترنت، لم تسمع من قبل بفضيحة لفتاة هزت المجتمع، يجب أن تكون أذكى من غيرها.

هكذا كانت غدير تشجع نفسها، عادت بوجه وروح غير الذي ذهبت به، حمدت الله على قرار الذهاب إلى المركز،



وستبدأ في تنفيذ الخطط العلاجية من الآن، ستغير حياتها، ستبدأ العيش بانطلاق أكثر، ستتصل بصديقاتها، ستجتمع بهن، ستكون فتاة أخرى.

عادت إلى السوق مرة أخرى، وهمت بالعودة وركوب سيارتها لولا أنها تذكرت أنها قالت لأمها إنها ستشتري بعض الكتب، توجهت سريعاً نحو مخطط السوق وبحثت عن مكتبة، وجدتها في الدور الثاني، ركبت السلم المتحرك وصعدت .

كانت تشعر بالارتياح وكلمات المعالجة ترن في أذنيها" هل سمعت عن فضيحة فتاة؟ ".. "القوي لا يتجرأ إلا على الضعيف".. "لا تجلسي وحدك أبداً" كانت تعيد كل جملة قالتها المعالجة وهي ترتفع إلى الأعلى نحو الدور الثاني، وكأنها تخرج من قاع الضعف والهزيمة.

سارت تبحث عن المكتبة الصغيرة المحشورة بين محلات الملابس، تفحصت الكتب كانت هي نفس الكتب الموجودة في كل مكتبات الأسواق، أحست ببعض الضعف عندما أعاد لها المكان ذكرى لقائها بالشاب، تسارعت أنفاسها وتاهت نظراتها، سحبت كتابين ودفعت ثمنهما وخرجت سريعاً.

ثم يممت نحو محل للاتصالات واشترت شريحة جديدة، دفعت ثمنها وهي تشعر بسعادة أكبر.

في غرفتها رمت جسدها المثقل بالتعب والسهر والتفكير المتواصل، ودون أن تدري راحت في نوم عميق، نامت بملابسها وهمومها، كانت تشعر أنها عاشت فجأة سنوات كثيرة ، كانت تعيش تجربة جديدة لم تعشها من قبل، لم تكن في حياتها أي تجارب قاسية، لم يسبق لها حتى التجادل مع أحد، كانت مسالمة أكثر مما ينبغي.

في الثالثة فجراً وجدت نفسها تفتح عينيها بخوف، كانت سعيدة وهي تعد الساعات التي نامتها، سبع ساعات كانت مثل سبعة أيام، تذكرت تلك الساعات الطويلة التي تقضيها في النوم أيام الإجازات وكيف أن أمها تنهرها على هذا النوم الطويل، ها هي الآن تتسول الساعات والدقائق.

وهي متمددة على سريرها وعيناها إلى السقف راحت تفكر في حياتها، أدركت أنها كانت تسير في اتجاه مخطئ، لا بد أن تترك عنها العزلة في غرفتها، يجب أن تغير من جلدها، حياتها السابقة جعلتها بخبرة قليلة، مكّن الشاب من خداعها، ها هي



ديما تعيش حياتها مع الشباب دون مشكلات، كانت قادرة على أن تسيِّر حياتها في ذلك المستنقع دون أن تتلوث بمياهه الضحلة.

تراودها فكرة أن تلقي نظرة سريعة على موقع اليوتيوب بحثاً عن الفضيحة المنتظرة، لكنها تذكرت كلمات المعالجة، يجب أن تلتزم بتوصيات العلاج.

مدت يدها نحو حقيبتها، وأخرجت شريحة الجوال القديمة، تساءلت في داخلها إن كان قد أرسل لها رسائل أخرى، أم تركها وشأنها، كانت في شوق إلى ذلك، لكنها تراجعت تصميماً على تنفيذ كلام المعالجة.

تذكرت شريحتها الجديدة، أخرجتها وأدخلتها في جوالها، ثم أرسلت رسائل لصديقاتها بأن هذا هو رقمها الجديد، ابتسمت وهي تتلقى بعض عبارات التهنئة من بعض الصديقات.

نزلت إلى إخوتها كانوا يشاهدون قناة للأطفال في صخب، ابتسمت لهم وهي تمشي نحو المطبخ، كانت مثل مريضة تتماثل للشفاء، كانت تشعر بإرهاق كبير، صنعت لها فطيرتي جبن، ثم فتحت الثلاجة وأخرجت كوكا كولا زيرو وجلست في الصالة تمضغهما وهي تنظر إلى سعادة إخوتها.

نشب بينهم خلاف حاد على اختيار القناة المناسبة، أحدهم يريد قناة للأناشيد وأخر يريد متابعة قناة تعرض رسوماً متحركة، تذكرت عندما كانت تختلف مع أختها، انقبض قلبها، ما زالت تشعر بعقدة الذنب، أبعدت صور أختها عنها سريعاً، لا تريد أن ترجع إلى الألم مرة أخرى.

صعد الأطفال إلى غرفهم للنوم، بقيت وحيدة تتابع التلفاز، حاولت أن تشغل نفسها بمتابعة فلم قديم لإسماعيل ياسين، تعمدت أن تضحك على كل مشهد مضحك، تضحك بصوت عالٍ، لكن في داخلها حزن كامن، في إحدى ضحكاتها نزلت منها دمعتان، ما لبثت أن تحولت إلى بكاء، لم تستطع التماسك، فاستسلمت إلى بكاء جارف، خشيت أن يشاهدها أحد فأسرعت إلى غرفتها، وتهرع إلى سريرها ترمي بنفسها عليه وتطلق العنان للبكاء.

أدركت أن الألم أقوى من أشياء تفعلها ليزول، تحتاج إلى وقت طويل كي تتعافى تماماً، لكن مهما يكن يجب أن تلتزم بما ذكرته المعالجة، مدت يدها إلى أحد الكتابين، وشرعت تقرأ، كان بعنوان " عايزة أتجوز" لفتاة مصرية تحكي قصتها مع الزواج، عشرات الخطّاب تقدموا لها لكن في كل مرة لا تسير الأمور على ما يرام، شيء ما يفسد الموضوع، ضحكت على كلماتها وطريقة

تعبيرها عن الأشياء، ذلك الزوج الذي ذكر أنه يعمل في الرياض، لتشعر بفرح كبير، ما يلبث أن يتحول إلى تعاسة بعد أن تكتشف أن الرياض هذه لم تكن سوى قرية في الصعيد.

عند نهاية الكتاب تعجبت من جرأة الفتاة عن الحديث عن حياتها بصراحة، وفي موضوع حسّاس مثل هذا، لكنها عزت ذلك إلى طبيعة ذلك المجتمع بالحديث صراحة عن آلامه، لا يشعر الفرد هناك بحرج عندما يحكي ألمه، تمنت لو أن علاقتها مع أبويها مبنية على الصراحة، كي تبث لهما عن مشكلتها، أن يحملا عنها ثقل ما تشعر به وحدها، تدرك أنها لو أخبرت والدها فسيحرمها من كل شيء، سيضربها قبل أن يبحث عن حل، سينقلب البيت إلى حزن وصراخ قبل أن تنتهي المسألة، أو أن تبقى دون حل.

أمها ستصاب بصدمة لو عرفت، قد تدخل على أثرها المستشفى، لن يرحمها أحد، لن يصدقوا أنها التجربة الأولى، وأنها لم تعرف شاباً قبل هذا، وأنها لم تلتقِ به، سيكذبونها ولن يصدقوا إلا القليل من كلامها.

عرفت أنها في مجتمع يحب أن يحرك لسانه بأنه بخير، بينما هو يشعر بآلام لا يمكن السكوت عليها، لا يحب أن يعترف

بأخطائه، أو أن يعرف عيوبه، يريد أن يسمع عبارات الثناء والتبجيل، فهو عاجز عن إيجاد حلول لمشكلاته، وحتى لو وجدها لا يملك الصبر اللازم على الحلول.

عندما قرأت حديث الكاتبة عن الزواج، خفق قلبها بقوة، كيف تتزوج وهي مهددة بالفضيحة، وقتها ستكون الفضيحة مدوية، شعرت أنها مخلوق خارج دائرة الحياة، وأنها لا يجوز لها أن تعيش على هذا الكوكب، فهو للأقوياء والأذكياء.

جاءتها رغبة قوية لمعرفة مصيرها، لا يمكنها أن تمارس حياتها الطبيعية دون أن تعرف أنها تسير على أرض صلبة، حالة الاختباء ليست حلّاً ناجحاً في نظرها، وجدت نفسها تخرق تعليمات المعالجة، فتحت حاسوبها بسرعة، وأسرعت إلى موقع اليوتيوب تبحث فيه بجنون، كتبت في محرك البحث كلمات كثيرة لكنها لم تجد شيئاً، كبُر الأمل في داخلها، بقي الجوال وما يخفيه من أسرار، أفرغت حقيبتها من محتوياتها، تبحث عن الشريحة، أسرعت تضعها في جوالها، ثم تدخل أرقامه السرية، لتفاجأ برسالة منه واتصالين، كانت الرسالة تقول: " أنت متصورة لما تسكرين الجوال إني راح أتركك .. قسم بالله ما راح أتركك ".

نزل منها عرق كثير، انساب على جسدها كخيوط من ماء، وعلاها هلع كبير، وعيونها استجابت لنداء البكاء الحاد الذي هبط عليها، بكت كسجين حانت ساعة إعدامه، بكاء أشبه بنواح زوجة غدت أرملة في سن مبكرة.

شعرت بتوتر كبير، عرفت أنها أخطأت في مخالفة تعليمات المعالجة بعدم فتح الشريحة القديمة أو الإنترنت، ها هي تعود إلى توترها القديم، تكورت على سريرها واضعة يديها بين ركبتيها، وعيونها تنظر إلى فراغ الغرفة تبكي ما آلت إليه حالها، تمنت لو تموت وينتهي كل شيء، وقتئذ لن تشعر بألم، ولن تعيش الفضيحة، سترقد بسلام بعيداً عن الألم والخوف، ستكون في أمان عند ربها، سيرحمها وسيغفر لها زلتها، سيكون أرحم بها من أهلها، سيقتص لها من ذلك الذئب الذي قلب حياتها خوفاً وهلعاً.

شجعت نفسها بالصبر، يجب أن تتماسك، تذكرت كلام المعالجة وما بثته في داخلها من حماس واطمئنان، وما أكدته من ضرورة القيام بتمرينات الاسترخاء. تمددت في أسى وقامت بالتمرين الأول، كانت تقوم به وجسدها يهتز بكاء، كلما ضعفت وتوقفت عادت تشحن نفسها وتكمل التمرين.

أنهت تمارين الاسترخاء سريعاً، لم تكن في حالة يمكنها

أن تقوم بها على وضع جيد، نهضت من سريرها ومشت إلى تسريحتها تنظر إلى وجهها الشاحب، أمسكت بفرشاة شعرها وبدأت تسرح شعرها في كسل، لاحظت أن شعرها يتساقط، هالها ذلك، شعرت بألم كبير، كم يخسر الجسم عند الحزن، عرفت كيف تقضي الأمراض على صاحبها، إذا استمرت في حزنها هذا ستصاب بنوبة قلبية، أو ربما جلطة مفاجئة.

قررت أن تزور المعالجة، موضوع كهذا يحتاج إلى جلسات عدة، لا يمكن أن تشفى من تعليمات قليلة، يجب أن يكون العلاج أكبر من ذلك، ستطلب دواء ينسيها حزنها، سمعت كثيراً عن أدوية تجعل صاحبها ينسى أحزانه وينطلق إلى الحياة بمعنويات مرتفعة.

الحصول على رواية جديدة وعد بوصولها اليوم بائع المكتبة كان عذرها الجديد، انشغال الأم بزيارة الجيران سهل مهمتها، قررت أن لا تعود إلا بحل أكيد، هذه الحلول المؤقتة لا تغني ولا تنفع.



٩

على المقعد المقابل للمعالجة كانت غدير تشعر بذلك الأمان الذي شعرت به أول مرة، حكت لها ماذا فعلت منذ أن خرجت من عندها إلى أن فتحت الجوال وعاد إليها توترها.

لامتها المعالجة على ضعفها، ذكرت لها أن الأقوياء يلعبون على ضعف البسطاء، عندما نظهر القوة أمامهم يضعفون، يجب أن تكوني قوية، غداً ستصبحين أمّاً وستأتيك المصاعب والمشكلات، لماذا نقتل أنفسنا دون مبرر؟ لماذا تذهب أيامنا ونحن نشعر بخوف غير حقيقي؟ ترى ماذا ستقولين عن نفسك عندما تمر سنوات ولا تظهر صورك وتتذكرين الأيام التي مضت وأنت تتألمين وتبكين؟

بدأت غدير تشعر بسعادة صغيرة، كلام المعالجة يشعرها بالأمان، تمنت لو تكون أمها، تبث لها تلك الكلمات حتى تشعر بأمان دائم، سئمت حياة الخوف والاختباء، تود لو تغمض عيناً وتفتحها على حياة أخرى جديدة، حياة لا تشعر معها بأي ألم.

نهضت المعالجة وتوجهت نحو دولاب مجاور، فتحته وسلت ورقة من مجموعة أوراق، قدمتها لغدير وقالت: اقرئي..



بدأت غدير تقرأ بابتسامة خفيفة، كانت الورقة تختص بعبارات يقولها المرء كي يبعد عنه المخاوف:

- **لا أسمح للأفكار الزائفة بالسيطرة علي.**
- **الأفكار الزائفة غير حقيقية وهي وهم ولا أسمح لهذا الوهم بأن يسيطر علي بعد اليوم.**
- **الانطلاق في الحياة نعمة وهذا الوهم حرمني من هذه النعمة فلا أسمح له بعد ذلك بأن يحرمني.**
- **سوف أحارب كل وهم وقيود لا معنى لها في داخلي وسأنتصر عليها وسأسيطر عليها بإذن الله تعالى.**

عندما أنهت غدير قراءة الورقة طلبت منها المعالجة أن تقرأها كل صباح، أن تقف أمام المرآة وتقولها بثقة كبيرة، يجب أن تتحدى المخاوف، يجب أن تكون قوية، مع مرور الأيام ستشعر بتحسن كبير.

أمسكت غدير بالورقة وبدت غير مقتنعة بها، لا يمكن لعبارات ترددها كل يوم أن تجلب لها الأمان المفقود، ولا يمكن أن تطرد هذه الأسطر مخاوف حقيقية تشعر بها، علم النفس قادر على إيجاد حلول لمشكلتها غير جلسات الاسترخاء وهذه

العبارات المملة، كانت تقول ذلك في نفسها، لذا حركت لسانها وهي تضع الورقة في حقيبتها إرضاء للمعالجة:

- طيب ما فيه دواء يخليني أشعر باسترخاء وأنسى الهم والحزن؟

- الحل الأمثل في العلاج لمثل مشكلتك هو مثل ما قدمت لك.. جلسات استرخاء وترديد تلك العبارات.. والابتعاد عن مصدر الخوف...

- لكني ما قدرت أطرد الخوف، في كل لحظة أشعر وكأني راح أموت من الخوف.

- هذا راجع لكونك لم تطبقي العلاج بشكل صحيح .. ما نفذت الاتفاق .. فتحت اللاب توب والجوال .. ومن الطبيعي أن يرجع لك الخوف... فلو كنا نخاف من مكان فراح نشعر بالخوف لو ذهبنا إليه، وسننسى مخاوفنا لو ابتعدنا عنه.

خرجت غدير من عند المعالجة بوجه وحماس أقل من المرة السابقة، لم تجد العلاج الناجح الذي يعيدها كما كانت، قررت عدم إهدار المزيد من المال في سماع كلمات لا تنفع، في سيارة

الأجرة التي أقلتها عائدة إلى السوق أخرجت الورقة وبدأت تقرؤها وهي غير واثقة من أهميتها، لم تنجح المعالجة في كبح جماح الخوف الذي تشعر به، خسرت المال والوقت في أشياء لا تنفع، باتت تفقد الأمل في العلاج النفسي، وفي أحيان تعزوه إلى المنتسبين إليه، ارتأوا الكسب المادي على إراحة أجساد الناس، لا يمكن أن تصدق أن علم النفس يقف عند نقطة معينة، يطرد مخاوف فتاة بترديد عبارات وجلسات استرخاء، لماذا لم تصرف لها حبوباً منومة، تنام في كل وقت حتى لا تفكر في ألمها، أو دواء يجلب لها الاسترخاء والخمول كي لا تتألم.

قررت أن تتصرف من تلقاء نفسها، أن تعالج نفسها بنفسها، كانت تسير باتجاه صيدلية في المجمع التجاري وهي مصممة على أن تخرج من كل مخاوفها، أن تنتزع حالة الخوف من قلبها إلى الأبد.

دخلت الصيدلية، كانت هناك امرأة تتحدث حول منتج تجميل، وقفت تقارن بين حالتها وحالة تلك المرأة، غبطت تلك المرأة على النعمة التي تعيشها ، خمنت أنها في الأربعينيات من عمرها وتخشى ذهاب الجمال، تذكرت أمها التي تحرص على صبغ شعرها وإخفاء الشعرِ الأبيض كلما لاحت منه شعيرات،

أصابها الملل وهي تتجول في ممرات الصيدلية في انتظار أن تنهي المرأة حديثها مع الصيدلاني.

توجهت إليهما ووقفت بالقرب منهما، هنا دفعت المرأة مئات الريالات ثمناً لمنتجين سيعيدان الشباب الفائت ثم خرجت، تقدمت نحو الصيدلاني وقبل أن تتكلم قامت بالتفاتة سريعة كي تتحقق من خلو المكان لها، ما يزال الحديث عن الأمراض النفسية أمراً غير متقبل، نظرة المجتمع للمريض نفسيّاً نظرة قاصرة، تحوم الشكوك حول قدراته العقلية، أو ضعفه في مواجهة الحياة.

طلبت غدير دواء يشعرها بالسعادة والفرح، ويطرد منها المخاوف والحزن، غاب الصيدلاني ليعود بدواء اسمه " سيروكسات" قدمه لها على أنه المناسب، ويمكن صرفه دون وصفة طبية، ويعمل على زيادة مادة السيروتونين في الدماغ مما يؤدي لعلاج أعراض الاكتئاب والقلق لدى المريض.

فرحت غدير بهذا الإنجاز السريع، عتبت على أن المعالجة لم تقدم لها هذا العلاج، سيساعدها ذلك في الشفاء السريع، معه ستنسى همومها، وستشعر بالقوة، وستكون أكثر شجاعة.

بقي أمر آخر، ستتوجه نحو مكتبة وتشتري كتاباً عن الخوف

والقلق ومواجهتهما، هكذا ستكون الأمور متكاملة، كما يمكن القيام بجلسات الاسترخاء، أما ترديد تلك العبارات فلم تجد له فائدة.

في تلك المكتبة كانت الكتب النفسية شحيحة، تناولت كتاباً مترجماً يتحدث عن التوتر وكيف تتعايش معه، ويضع ما يزيد على خمسين فكرة لذلك، آثرت أن تعود بأي كتاب ولا تعود دون شيء، هكذا صممت أن تحل مشكلتها بنفسها، كانت تعيش ردة فعل عنيفة على فشل الطب النفسي كما تقول، تلك الطرق التي اتخذتها ستساعدها على مقاومة المخاوف.

في غرفتها تناولت حبة من الدواء وقامت بتمارين استرخاء، ثم فتحت الكتاب وبدأت تقرأ سطوره الأولى، كانت الفكرة الأولى تقول:

"إن التفكير الأخير ما قبل النوم له دوره في البدء في يوم جديد سعيد".

وقبل أن تسترسل في قراءة بقية الأفكار شعرت برغبة في النوم، وضعت الكتاب جانباً ثم ذهبت في نوم مضطرب، كانت الأحلام المزعجة تأتيها متواصلة، صور مختلفة مرعبة ووجوه غير مألوفة تلوح لها، كانت تلهث في نومها وتشعر أنها تقوم بمجهود

بدني كبير، واستنفار ذهني فوق طاقتها.

كانت كالقتيلة في سريرها، ممددة ورأسها على يدها اليمنى، ولعاب لزج يتسلل من فمها، وصوت أنفاسها يتعالى، وأنين ينبعث من فمها، كانت بين حين وآخر تتحرك وكأنها تتحرر من قيود تكبلها.

في الغد تناولت حبة أخرى من السيروكسات، لكنها وبعد ساعتين بدأت تشعر بغثيان يطحن معدتها، ورغبة في القيء تنتابها، فتحت نشرة الدواء فوجدتها تنص على هذه الأعراض وأكثر، بكت وهي تقرر عدم تناول المزيد منه، لم يناسبها الدواء، لا يمكن لها أن تعيش مع هذه التأثيرات الجانبية.

قررت أن تغير هذه الأجواء الكئيبة، يجب أن تنطلق في خطتها العلاجية، يجب أن تلتقي إما بديما أو العنود، يجب أن تتحدث، أن تحرك لسانها بأي شيء.

فكرت أن تخبر ديما بما حدث لماذا لا تحكي لها علها تجد عندها حلاً لمشكلتها، أو على الأقل تزيح همّاً كامناً على صدرها يجعلها تترنح ألماً وخوفاً، ولكن هل تضمن أن لا تحرك ديما لسانها ويصل خبرها إلى الكثيرات من الصديقات، أو تقول لأمها فتتصل

بأمها تستفهم عن صدق الحكاية.

ثم لماذا تفكر دائماً بديما وتهمل العنود، قد تكون العنود أكبر قلباً وأحسن تدبيراً ونصحاً، فقد تجد لديها قلباً يسعها ويشعرها بالقرب منها، وجدت في هذا التفكير راحة كبيرة لذا قررت الاتصال بها وتحديد مكان للالتقاء بها.

فرحت العنود باتصال غدير، سألت إن كانت ستحضر ديما، ولما عرفت أنهما وحدهما أكدت أنها ستأتي.

كان اللقاء في د.كيف على طريق الملك عبدالله، حضرت العنود بوجهها الحزين وملابسها السوداء التي اعتدن أن يرينها بها، باتت غدير تعشقها وتحبها، وجهها يشعرها بمصيبتها التي حطت عليها كوباء استشرى في بلدة وبات يفتك بأهلها.

طلبا كوبي قهوة تركية، تعمدت غدير أن تطلب ما طلبته العنود، كانت تريد أن تشعرها بقربها، فهي تعقد عليها آمال أن تقتلعها من حالتها الكئيبة، بعد حديث عن الإجازة وأيامها المتبقية سألتها غدير عن سبب الحزن الكامن في صدرها، هنا تنهدت العنود وعادت تستند إلى مقعدها لتحكي لغدير قصتها الحزينة.

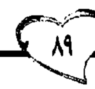


١٥

في إحدى قرى نجد عاش أبي، وقضى طفولته في رعي الغنم، لكنه ما لبث أن تمرد على جدي وسافر إلى مدينة قريبة واشتغل في تجارة الأقمشة، لاقى أبي معارضة كبيرة من جدي، كونه بحاجة إلى من يقف معه في الاهتمام بالأغنام والإبل، فهي كما تعرفين تكاد تكون المهنة الوحيدة التي اعتادها رجال البادية، لكن أبي لم ينصع إلى كل ذلك واستمر في تجارة الأقمشة التي يشهد أبي تطوراً فيها سنة بعد أخرى.

تزوج أبي ورزق بثلاثة أبناء وبنت، وتطورت تجارة أبي وأصبح يسافر إلى الشام بحثاً عن أقمشة جديدة وبضاعة نادرة، كان يقضي أسابيع هناك متنقلاً بين مدن الشام ومصانعها، وفي إحدى المرات قابل تاجراً من قريته، نشأت بينهما تجارة مشتركة، بل وتوثقت هذه الصداقة عندما سهل لأبي الزواج من فتاة ريفية من الشام كانت وحيدة والدها فقد ماتت أمها وهي صغيرة.

سكتت العنود ترتشف رشفة من قهوتها السوداء لتقول : عاد أبي من الشام مصطحباً عروسه الجديدة، وأسكنها في بيت



قريب من زوجته الأولى، حاول أبي أن يدمجها مع أهله لكنهم أنكروها، لسبب ما لم يتقبلوها، كانت تشعر بوحدة بعيداً عن أهلها، كانت حبيسة البيت فأبي مشغول عنها بتجارته، ولم تكن من النوع الذي يشكو، ومع ذلك رزق أبي منها بابن وبنت.

عرفت الدنيا في البيت الأول مع أم وثلاثة أبناء وأخت تكبرني بثلاث سنوات، كنا نلهو معاً، ونلعب معاً، كل شيء في طفولتي كان جميلاً سوى أن أمي كانت تطلب مني دون أختي أن أقوم بمساعدتها في أعمال البيت، كانت تضع تحت قدمي صندوقاً صغيراً لأصعد عليه وأغسل الأطباق.

كان علي أن أنهي كل أعمال البيت قبل أن أهرع إلى كتبي ودروسي، ومع قلة اهتمامي بدراستي كنت متفوقة أحصل على أعلى الدرجات.

في كل ليلة أنظر إلى أختي وهي تنام في وداعة، أفكر في الفرق بيني وبينها، لماذا عليّ أن أقوم بأعمال البيت دونها، ما الذي تمتاز به عني حتى يوكل لي أعمال البيت وهي تنعم في راحة وسعادة.

كنت بين حين وآخر أنتفض وأصرخ بهذا الظلم الذي أعيشه

كل يوم، كنت أطالب بمساواتي بأختي، أن تساعدني على القيام بهذه الأعمال، وتخفف العبء عني، لكن أمي كانت ترد بأن أختي في مرحلة دراسية تستوجب المذاكرة، لذا كان الاعتماد علي أكثر.

كنت ألتزم الصمت مع أبي، لم أشأ أن أخبره بمدى الظلم الذي أشعر به، وذلك لكثرة سفرياته، ولشخصيته التي أخافها، فقد كان منذ أن يعود وهو يصرخ في أمي وإخوتي، لذا كان الصمت هو خياري الوحيد.

في كل ليلة وقبل أن أغط في النوم كنت أبكي نفسي، أبكي هذا الظلم الذي أقاسيه كل يوم دون قلب رحيم ينتشلني، أو عاطفة بشرية تنتفض من أجلي، كنت أبكي حياتي وعذاباتي بينما أختي تنام في راحة وسعادة.

كم فكرت أن أهرب من هذا البيت، كنت أحلم بهذا الهروب وأخطط له كل ليلة، حقيبة صغيرة بها مجموعة من المياه المعدنية وبعض الحلويات، بيت جدتي والتي تسكن في الشارع القريب كان هدفي، سأحتمي بها من هذه الأم القاسية، سأطلب أن أعيش عندها، هناك وفي حماها سأكون بمأمن من



هذه الأم التي نزعت منها الرحمة.

كنت أبكي وتنهمر عيوني كل ليلة، وكانت دموعي تبلل وسادتي، أبكي بلا صوت ولكنه كان كافياً أن تخرج دموعي البريئة ظلماً واحتجاجاً، حتى إخوتي طالهم احتجاجي وغضبي، حتى خالتي زوجة أبي طالها عتبي، كنت أنتظر منهم جميعاً أن يثأروا لي، أن يهبوا لنجدتي ورفع الظلم عني.

سارت بي الحياة وهي تريني اللون الكريه لها، لم تشعرني بأيام فرح سوى أيام العيد، أو حين نزور أقاربنا، وقتها أكون في إجازة من عمل البيت، أخرج ألهو مع الصغار وأنسى ألمي وظلمي، فالصغار لهم قلوب بريئة، قلوب ينسون بها كل ظلم.

عندما وصلت إلى الثانية عشرة من عمري كتب الله لي أن أعرف سر هذا الظلم الذي أتجرعه كل يوم، فقد كنت ألهو مع أولاد الجيران، إذ لمحت صبيّاً أكبر مني يتحدث مع طفل قريب له يزورهم، كان يتحدث معه ويشير إلي، أصغيت أذنيّ وأنا ألعب مع صديقتي وأتظاهر بأني منشغلة معها، سمعته يقول: أتصدق أن هذه الفتاة تعيش مع امرأة ليست أمها، أمها هي المرأة التي تسكن في البيت الذي في زاوية الشارع!

تجمدت في مكاني، غير مصدقة ولا مكذبة، لم أعد أعرف أنا

ابنة مَن! شعرت أنني مخلوقة بلا أم، بعد زوال الصدمة هرولت إلى بيتنا، وإلى المكان الذي يخبئ فيه أبي أوراقه الرسمية، هناك عثرت على بطاقتين عائليتين، كل زوجة لها بطاقة خاصة، بحثت عن اسمي فوجدته مع خالتي.. مع الزوجة السورية!!

إذاً تلك المرأة القاسية ليست أمي، بل هي زوجة أبي، وتلك المرأة الجميلة الهادئة التي يطلقون عليها الأجنبية هي أمي، أنا ابنة تلك السيدة الوديعة، لكن ترى لماذا فرطت بي وتركتني بيد تلك السيدة القاسية؟ ولماذا طاوعها قلبها أن تتنازل عني لأعيش بعيداً عنها؟ أي قوة جعلتها تفرط بابنتها بسهولة؟

وقفت مكاني متجمدة وأنا أقرأ مراراً وتكراراً اسمي مع البطاقة الثانية، زوجة وابن هو أخي وابنة هي أنا! آه يا قلبي المفطور .. آه يا دنياي الظالمة .. آه يا حياتي الضائعة..

تماسكت وهرعت إلى سريري وعالمي الصغير أشكو إليه ظلم الدنيا، وقسوة القلوب، بكيت هناك طويلاً، ذرفت دموعاً كثيرة .. كنت أريد أن أموت وقتها .. شعرت أني بلا قيمة وأدركت أني خادمة في هذا البيت ..

إذاً عرفت الآن سر الظلم المتعجرف، أدركت لماذا كان علي

أن أقوم بتلك الأعمال دون أختي، فأنا في نظرهم بنت من أم أجنبية، أنا في نظرهم خادمة، لا يحق لي أن أعيش مثلهم، يجب علي أن أخدمهم وأفني حياتي في خدمتهم.

لكن السؤال الكبير والعجب الأكبر لماذا تخلت عني أمي؟ لماذا رضيت أن تفرط بي؟ لماذا سلمتني لضرتها؟ لماذا تركتني أتجرع الألم وأقاسي الظلم كل ليلة؟!

لزمت الصمت.. لم أعلن عن الحقيقة التي كشفتها، كتمتها بين أظلعي المنهكة، وحاولت أن أبدو طبيعية تماماً، قمت بعملي اليومي في البيت دون احتجاج أو تبرم، ونمت وفي رأسي أسئلة كثيرة بلا إجابات.

فكرت أن أخرج عصر الغد إلى بيت أمي وأرمي نفسي بين أحضانها، أشم رائحتها وأبكي بين يديها، لكني أيضاً تراجعت، ولا أدري لماذا؟! قررت أن تسير الأمور طبيعية، انتظرت موعد زيارة خالتي لها، كنت أريد أن يكون الحدث دون ضوضاء! ولا أدري لماذا اخترت هذا الطريق؟

بعد يومين كانا أطول يومين في حياتي، قررت خالتي أن تزور أمي، وقتها كنت أسرع في غسل أطباق الغداء كي نذهب سريعاً، كنت في شوق إلى لقاء أمي، وإلى النظر إلى عينيها، كنت أبحث

عن نظرة مختلفة غير تلك النظرة العادية التي كنت أراها منها دائماً.

كان البيت في زاوية الشارع، لذا سرنا أمام خالتي وهي تتجه نحو بيت أمي، كنت في السابق لا أجد متعة للذهاب إليها، فلا أطفال في سني يمكن أن يلعبوا معي، لم يكن لديها سوى شقيقي الذي لم يتعدَّ الخمس السنوات!

تعلقت بالباب منتظرة أن يفتح، هنا فتح أخي الصغير الباب، كانت نظراتي له اليوم مختلفة، دققت في تفاصيل وجهه القمحي الفاتح، كان يحمل جمال أمي وهدوءها، فتح الباب وأسرع إلى الداخل.

كانت أمي في استقبالنا عند الباب الداخلي، قبلت خالتي على خديها وقبلتنا جميعاً، لم تخصني بكثير من القُبل أو الاهتمام، زاد ذلك من استغرابي! لكن هذه عادتها.. بل أنا التي تغير إحساسي بها ..

جلست في مكاني مع أمي وخالتي وأختي الكبرى، جلسنا نتناول معها القهوة والشاي، كنت أطيل النظر إلى والدتي والتي لم تكن نظراتها القليلة لي تحمل شيئاً كنت أتوقعه، بل كانت تحمل



وجهاً يكاد يكون عاديّاً.

قررت الخروج من صمتي، يجب أن أتكلم وأصرخ بأني قد عرفت السر، لا يمكن أن أرضى أن أعيش بعيداً عن أمي بعد أن عرفت كل شيء، يجب أن يعود الجميع إلى البيت وأبقى هنا مع أمي وأخي.

ذهبت أمي إلى المطبخ لتحضر شيئاً، وجدتها اللحظة المناسبة، نهضت وتبعتها، كانت تضع مجموعة من الفواكه في طبق، عندما التفتت عائدة كنت أدخل عليها، حضنتها وأنا أقول: أمي .. لقد عرفت السر .. أنت أمي .. وقبل أن تنهمر عيناي بالدموع كانت قد غادرت وتركتني!!

سكتت العنود تقاوم دموعاً هجمت عليها، لكنها لم تنتصر عليها لتستسلم إلى بكاء جارف، فعادت تقول بصوت باكٍ : تصوري يا غدير .. ذهبت وتركتني أبكي ! كان موقفاً قاسياً على قلبي الصغير.. لقد ذهبت وتركتني أشلاء .. وبقايا إنسان .. هل عرفت يا غدير ليه أنا حزينة؟ ليه أرى الدنيا سوداء؟

تحرك لسان غدير ببطء وبصوت خافت قالت: شيء غريب ! ليه أمك تصرفت معك كذا؟ أكيد فيه سر ما تعرفينه!

ردت العنود وهي تمسح دموعها: كل شيء خمنت فيه، لكن مهما كان السبب .. كان عليها أن تشعرني بقربها، بأمومتها، لا يوجد شيء في هذه الدنيا يمنع أمّاً عن طفلتها، ولكني صممت على معرفة السر، كأني عشقت كشف الأسرار، فقد عرفت أن حياتي منجم أسرار، لكن والدتي توفيت في تلك السنة، ماتت بعد أن دخلت المستشفى لعشرة أيام، كانت قد اعتادت دخول المستشفى في آخر أيامها حتى ماتت رحمها الله..

انقطع صوت العنود وأصبحت تنشج في بكاء لا ينقطع، أمسكت بها غدير وشرعت تخفف عنها، وهي تفكر في مصيبتها، تمنت أنها لو عاشت حياة العنود وألمها ولم تعش ألم فضيحة قادمة، لكنها وبسرعة عدلت عن هذه الأمنية عندما فكرت فيما لو لم يقدم الشاب على الفضيحة.

هدأت العنود قليلاً لتقول: أتظنين أني توقفت عن معرفة السر؟ لقد ظللت أبحث عنه حتى وجدته..



11

لم تكن غدير تتوقع هذه القصة من العنود، توقعت أن سبب حزنها ونظرتها التشاؤمية للحياة شيء تافه، أو سبب معتاد كتسلط أهل، أو قسوة أب، ومهما يكن فقد جلبت لها قصتها نوعاً من الراحة، شعرت أنها ليست وحدها من تقاسي في هذه الدنيا الكئيبة.

بعدما أنهت العنود شرب قهوتها كانت غدير في شوق أن تعرف سر تجاهل أمها لها، عادت العنود تقول بصوت خافت بعد أن تعبت من البكاء:

بعد موت أمي أو المفترض أنها أمي انطفأت شمعة كانت من الممكن أن تحمل لي أملاً قادماً، لكن موتها و زواج أختي الكبرى جعل الحمل أكبر، فتحملت أمر البيت تماماً، فخالتي تركت لي كل شيء.

كنت أنظر إلى شقيقي الذي انتقل ليعيش معنا نظرة أمل أن يكون لي عوناً في المستقبل، أن ينصفني في هذه الحياة الظالمة، ولم أتفاجأ عندما رأيتهم يعاملونه بقسوة، كنت أبث

له كلمات الأمل وعبارات الصبر نحو غد مشرق، لكنه لم يكن صبوراً مثلي، فكان يتمرد على الجميع وعلى نفسه، يتغيب كثيراً عن المدرسة ويحصل على درجات ضعيفة، كان يعيش حالة من الانكسار، حتى أنا لم يكن يكترث بي، يصرخ في وجهي ويعاملني بقسوة!

ذات يوم سافر الجميع إلى مكة لأداء العمرة وبقيت مع أبي، تجرأت لمعرفة السر، أخبرته ودموع غزيرة تخرج من عيني أني عرفت بأن من ماتت هي أمي، لم يتفاجأ أبي، ولم يبد استغراباً، وكأنه كان ينتظر مني شيئاً أكثر أهمية، فقلت بعد أن ترحمت عليها: بودي أن أعرف سر تجاهلها لي..؟

فقال: لم يكن هناك سر كبير .. أمك كانت مريضة بالقلب، عرفنا ذلك بعد ولادتك، وكانت ترقد كثيراً في المستشفيات، ولم يكن في مقدورها أن تعتني بك، وزادت حالتها سوءاً بعد ولادة أخيك، و أصبحت حياتها في خطر، عندما رأيتِها كانت تعلم أنها لن تعيش طويلاً .. لذا لم ترِد منك أن تتعلقي بها ..

حاول أبي أن يقنعني بما قال، لكني لم أقتنع أن تتخلى أم مهما كان عذرها عن ابنتها، ولماذا تركتها كالخادمة في بيت آخر!

في الصف الثاني الثانوي بدأت الحياة تبتسم لي، دخل علي أبي غرفتي، وأخبرني أن شابّاً تقدم لخطبتي، هذا الشاب هو ابن ذلك الرجل الذي ساعد أبي في الزواج من أمي، وقتها لم يكن لي من الأمر سوى الموافقة.

بعد أيام قليلة حضر الشاب ومعه والده ومأذون أنكحة وعقد لنا، واكتشفت لاحقاً أن الشاب أمه غير سعودية، ولذا كان من حقه أن يتزوج بفتاة مثله، هكذا فكرت، ومهما يكن أطلق أبي لنا العنان بتجهيز شقتنا وشراء كل ما نحتاج.

كنت أحلم به كل ليلة أن ينتشلني من حياتي الكئيبة، كنت أراه في أبهى صورة، كنت أراني جالسة بجانبه وأعيش معه، كنت أنام على صوته وعلى أحلام بحياة سعيدة.

اخترنا أن نقضي إجازتنا في " المالديف " نريد أن نبتعد عن الجميع، أن نكون وحدنا، وبعدها سنسافر إلى كندا، كان يريد أن يكمل دراسته العليا، وأكمل دراستي أنا، وأتخصص في دراسة الفنون الجميلة التي أعشقها.

في ليلة الزواج كنت في أبهى صورة، أقام أبي حفلاً كبيراً يليق بهذه المناسبة ودعا الكثيرين، وقتها كنت أتمنى أن تكون أمي



بجانبي، تقف معي وتشد من أزري، كنت وحيدة في هذا الموقف الصعب، كنت كفتاة ولدت بلا أم، لم يقف معي أحد ولم يشد من أزري أحد، حتى أختي الكبرى حضرت كضيفة دون أن تقول لي كلمات مشجعة في حياتي الجديدة.. كل شيء كان مزيفاً حتى زواجي!

توافد الضيوف من كل مكان، فأبي يحتل مكانة بين الناس بتجارته وصيته بينهم، وانتظرنا حضور الزوج ، لكن الليل يمضي ولا أثر له، فجأة وبينما كنت في غرفتي أنتظر أن يدخل علي أبي وزوجي.. دخل علي أبي وحيداً ليقول لي : مات زوجك .. قضى في حادث سيارة.

سقطت مغشيّاً علي، وأدخلت المستشفى مصابة بانهيار عصبي، وبقيت هناك رهينة الحقن المهدئة، كلما استيقظت حقنوني حتى أنسى عالمي الكئيب.

خرجت من المستشفى محطمة الفؤاد، مات زوجي وماتت كل حياة في قلبي، لم يبق لي ذرة أمل في حياة سعيدة، فموت الزوج في ليلة عرسه يدل على شؤم الفتاة، هكذا تفسر الأمور في عائلتنا، وبهذا أوصدت أبواب الفرح أمامي، فمن يجرؤ أن يتزوج من مشؤومة؟!

لم يتوقف الألم عند هذا الحد، فقد كثرت أمراض أبي وأوجاعه، حتى غدا ضعيفاً غير قادر على الحركة، فلزم الفراش والبيت، وأصبح صديق المرض والمستشفيات، لا يخرج منها حتى يعود إليها، وفي كل مرة أقول إنه لن يرجع إلينا.. أتعرفين ماذا يعني لو مات أبي؟ يعني أن إخوتي سيتخلصون مني بطريقتهم، ولن أستلم ولا ريالاً من ميراث أبي، ذلك يوم سيكون مجنوناً ..

أصبحت أسيرة لأحزاني، أبكي كل ليلة حتى أتعب، عرفت متاعب المعدة، وتقلصات الأمعاء، وأصبت بالقولون العصبي، فكنت عند اشتداده أدخل المستشفى وأبقى فيها أياماً، ورأيت للخروج من حالتي أن أعود إلى دراستي بعد أن ضاعت سنة منها، وبالكاد أنهيت الثانوية بتقدير لم يؤهلني إلا لدخول كلية الآداب قسم تاريخ، وهذا قدري، أن أعيش وأعرف الكثير من مآسي هذا العالم، ولكن لم أجد مأساة تضاهي مأساتي.

لبست الكآبة ولبستني، عشقت السواد بعد ذلك وعشقني، إلى أن سمعت بالإيمو، فقرأت عنهم الكثير لأجد نفسي أنتسب لهم دون تفكير مني..

هنا قاطعتها غدير قائلة: إذاً ما سمعته عنك أنك إيمو صحيح؟



- نعم هذا صحيح .. ولا أخجل من هذا .. وحقيقة فقد شوهت حقيقة الإيمو وصورتهم مع أنهم في قمة الوداعة واللطافة ، إنهم رقيقون فوق ما تتصورين .. لن يخدعوك ولن يسببوا لك المشكلات ..

هنا اقشعر جلد غدير وتذكرت ذلك الشاب الذي عاشت معه أياماً وليالي جميلة لكنه فجأة أظهر لها وجهاً قبيحاً وأصبح وحشاً يحاول نهش جسدها بكل وحشية وقسوة...

- يا غدير .. الإيمو يعيشون ألماً نفسيّاً ولا يجدون من يفهمهم، ولا من يستمع لهم، وأهم من هذا كله لا يخجلون من البوح عن ألمهم ومعاناتهم... فأنت تعرفين أن الإنسان عبارة عن عقل وغريزة وإحساس .. والكثير من الناس يخجل أن يبوح بأحاسيسه فيقول أنا خائف .. أنا خجول .. ، بينما نحن نبوح بها دون خجل ... أتعرفين أن معنى كلمة إيمو تعني عاطفة؟ غدير نحن أرق من على هذا الكوكب .. فنحن ندعو إلى إعلاء العاطفة، فشعارنا هو العاطفة قوة فلا تخجلوا منها .

- ولكن الإيمو قرأت عنهم أنهم متهمون بأنهم شاذون جنسيّاً أو أنهم ملحدون أو يؤذون أنفسهم؟

- يمكن هذا في البلاد الأجنبية، أما هنا فما فيه لا شذوذ ولا إلحاد .. أما إيذاء النفس فيمكن أن يحصل من البعض، أنا شخصياً فعلتها مرة عندما اشتدت علي الأزمات.. كنت أحاول أن يكون الألم الجسدي أقوى من الألم النفسي.. وما فعلتها ثانية خفت أن يتهموني أني مدمنة مخدرات..

- تتوقعين الجامعة فيها إيمو؟

- نعم ولكنهن قلة .. وعلى فكرة أكثر البنات المنتسبات إلى الإيمو من أجل ستايل الإيمو بلباسه الأسود وقصة الشعر المنسدلة على الوجه أو إحدى العينين...

سكتت العنود قليلاً، ثم رمقت غدير بنظرات فاحصة ، لتقول : بأقول لك شيء ولا تزعلين مني غدير .. وجهك مو عاجبني أبداً .. صاير لك كم يوم ووجهك شاحب! فيك شي؟

تلكأت غدير قليلاً ، وفكرت أن تبوح لها بكل شيء، لكنها قد عاهدت نفسها أن تحفظ سرها مهما كان، لذا خطرت لها قصة أختها التي قضت في مسبح الاستراحة، فاختارت أن تكون هي قصة الخوف والألم، لم تجرؤ أن تحكي قصة ذلك الشاب لأحد،



كانت تملك أملاً في نسيانها وعدم تجدد تأثيرها عليها، ذكرت لها أن قصة أختها تشعرها بألم كلما تذكرتها، وازدادت هذه الأيام بعد أن ذهبت مع عائلتها إلى استراحة قبل أسبوع، فجعلها تتذكر تفاصيل الحادثة وبقوة.

شعرت الاثنتان بالقرب من بعضهما بعضاً، وخاصة غدير التي وجدت فيها قرباً أكثر من ديما، كما أنها وجدت في الإيمو عذراً جميلاً، ترمي فيه كل أحزانها وخوفها، تستطيع من خلاله أن تقول أنا حزينة بل كئيبة، أن تظهر حزنها على الملأ دون خوف، ومبررات الحزن كثيرة: لا يوجد من يفهمني، لا شيء في هذه الدنيا يدعو إلى الفرح، منذ أن يولد الطفل وهو يبكي، ويودعها وهو خائف يبكي .. وفاة أختي أمام عيني وبسببي، الوحدة القاسية التي أعيشها بعد وفاتها.

قررت غدير أن تشتري ملابس للإيمو، فأمسكت العنود بيدها، وانطلقتا إلى أحد محلات الملابس، تقدمت العنود من البائع وقالت:

- **أهلاً ....**

- **أهلين ..**

- عندك شيء جديد؟

- كل الجديد عندنا ..

صحبهما البائع إلى ركن يحتوي على " تي شيرتات " ذات ألوان غامقة معظمها أسود اللون، وفي ركن قريب منه أشار إلى بناطيل سوداء ضيقة وواسعة، ومن مكان آخر أخرج بعض الإكسسوارات المختلفة، أساور برسومات كبيرة، اقتنت غدير ما يناسبها ودفعت ثمنها ثم خرجتا سريعاً من المحل.

وفي الفان صحبت غدير صديقتها القديمة الجديدة العنود لتوصلها إلى بيتها، كانت غدير سعيدة بهذه الصداقة التي قويت، ابتسمت العنود لغدير وهي تحاول أن تلامس أصابعها قائلة:

- أتعرفين يا غدير أن الانتساب إلى جماعة معينة يعمل على تقوية أواصر الصداقة بين أفرادها؟ وهذه إحدى فوائد الإيمو السريعة يا عزيزتي ..

قالتها مع ابتسامة صغيرة ..

- بالفعل .. أشعر أني اقتربت منك كثيراً .. فأنا كما تعرفين وحيدة وأشعر بفراغ كبير في حياتي، إضافة إلى أن موت أختي جعل الكآبة تحاصرني ..

- ومتى عرفنا السعادة أصلاً يا غدير .. الكآبة تحاصرنا منذ طفولتنا إلى موتنا .. لا نموت إلا والأمراض تقتلنا .. لا شيء يفرح في هذه الدنيا ..

سكتت غدير تفكر في كلام العنود، غير قادرة على موافقتها أو معارضتها، ومهما يكن فلن تقوى على المعارضة الآن .. فهي صديقة الألم وصديقة الإيمو.



12

تمددت غدير على سريرها تفكر في حياتها الجديدة، لقاؤها بالعنود وانضمامها إلى الإيمو، بعد أن كانت تنبذ كل شيء غريب عن المجتمع أصبحت ترى في الإيمو شيئاً جميلاً يناسبها، ما دام أنه لباس أسود وقصة شعر معينة وكحل أسود كثيف حول العينين، وأهم من ذلك كله قناع جميل سيغطي على خوفها وهلعها.

كانت مأخوذة بهذا التغيير المفاجئ، وكأنه حلم جميل، لكنها ما أن استيقظت منه حتى عادت إلى واقعها الأليم، الفضيحة القادمة والشاب الذي لا يرحم، أحست بمغص في بطنها، ليتسرب الحزن مرة أخرى إلى جسدها.

فكرت أن تفتح اللاب توب وتدخل على موقع اليوتيوب بحثاً عن الفضيحة، لكنها تراجعت، أدركت صدق المعالجة في كلامها، علاج التوتر في البعد عن مصدره، وأيضاً صرفت النظر عن الجوال.

بدت قلقة لا تدري ماذا تفعل، وأي تصرف تقدم عليه، تسللت دموع من عينيها، ما أصعب أن تشعر بالخوف وحدك



وأنت وسط عائلتك! تذكرت كتابها الذي اشترته عن القلق ، فتحت الكتاب عند الصفحة التي توقفت عندها، الخطوة الثانية:

" أشغل نفسك بأشياء تحبها "

التفتت إلى غرفتها تبحث عن شيء تلهي به نفسها، وجدت الروايات التي اشترتها مؤخراً، تصفحت إحداهن، كانت بعنوان "الوردة الضائعة" للكاتب التركي "سردار أوزكان"، قرأت منها عشر صفحات، كانت تحكي قصة بنت تبحث عن أختها الضائعة، أشعرتها تلك القصة بالألم، تذكرت أختها، رمت الرواية جانباً، حاولت النوم لكن لم يكن لديها رغبة قوية.

هنا رن جرس جوالها، خفق قلبها، وشعرت برجفة المغص في بطنها، كانت المتصلة "ديما" بدأت تتساءل ماذا لديها؟ هل عثرت على الفضيحة وجاءت تركض لتخبرها بها، تعلن الاستنفار الكبير؟

كانت يدها تنتفض وهي تضغط زر الإجابة.

- أيوه ..

- أهلين غدير وش فيك؟ نايمة؟

- لا والله .. جالسة أقرأ .. عندك شي؟

- عندك شي ؟ وش فيك غدير مية بالمية مو طبيعية !

- ما فيني شي يا بنت الحلال .. كنت مسترخية أقرا وما توقعتك تتصلين .. هذا كل شيء..

- عموماً إذا كنت مضايقتك سكرت الخط..

- لا يا ديما وش دعوى ! أقول لك كنت أقرأ .. لا تدققين.

- كنت متصلة أسألك وش سويت اليوم في السوق مع الكئيبة العنود..

- اسكتي اليوم حكت لي قصتها .. يا هي مسيكينة .. أتاريها متحملة أشياء صعبة وحنا نتوقع أنها حزينة على لا شيء..

- كيف؟

حكت غدير لديما حكاية العنود، وكيف اكتشفت أنها عاشت خادمة في بيت غير بيت أمها، وكيف أن أمها تخلت عنها بعد أن اكتشفت العنود السر ..

عندما أنهت غدير حكاية قصة العنود، لم تكن القصة ما أثار ديما، بل ما حدث بعد القصة من تعلق غدير بالإيمو، مستفهمة كيف تحولت سريعاً ودون تفكير، هنا أطلقت غدير



العنان للخيال ليروي مبررات ذلك:

- **تعرفين يا ديما إني ضد هالأشياء.. ضد إن الوحدة تتعلق بأشياء بعيدة عن واقعنا.. ولا تضيف لنا شي .. لكن بصراحة بعد ما شفت ملابسهم وستايلهم لقيته شي بصراحة .. الملابس وقصة الشعر .. أنت عارفة إن لهم قصة شعر تجنن؟**

- **إيه أدري .. ينزلون الشعر على الوجه ... ويمكن يغطون وحدة من العيون ..**

- **مدري شفته روعة .. رحت معاها واشتريت لي كم قطعة.. واشتريت إكسسوارات والحين قاعدة أسوي شعري مثلهم.**

- **معقول! بهالسرعة؟ بصراحة شوقتيني يا غدير .. أقول بكرة العصر راح أكون عندك في بيتك..**

في الموعد المحدد، كانت ديما تستعرض مع غدير الملابس التي اشترتها، بل وقفت تنظر بلهفة إلى غدير وهي تضع كحلاً كثيفاً حول عينيها، وتضع ظلّاً غامقاً، ثم تسرح شعرها على طريقة الإيمو، ولم تنتظر أن تنتهي غدير، فأسرعت تضع الكحل

الأسود والظل، ثم تسريحة الشعر، لتنظر إلى نفسها في زهو في المرآة قائلة: أنا إيمو ..

ابتسمت غدير من ديما وسرعة اتخاذها لقراراتها، وتمتمت في نفسها قائلة: آه لو تعرفين عن سبب ما أقوم به الآن.. وفرق بين من يلبس لباس الإيمو لمجرد التغيير ومن يتقمصه هرباً من مشكلة!

على الرغم من انغماس غدير في الإيمو إلا أن وجعها ينبض دون توقف، لكنها كانت مصممة على نسيانه، لن تلتفت له، ستتجاهله، كم كانت تتمنى لو تتخلص من مغص المعدة الذي يفزعها كلما تذكرت مشكلتها، ذلك المغص يجرها للماضي الأليم.

طبقت توصيات المعالجة كما قالت، كانت مريضة نجيبة، لم تفتح حاسوبها ولا شريحتها القديمة، ولم تعد تجلس وحدها، كلما شعرت أن تفكيرها سيعيدها إلى مشكلتها حملت كتاباً ونزلت عند إخوتها، وتمددت على صوفة تقرأ كتاباً وتتابع معهم برامج الأطفال.

مرت الأيام دون أن يصرخ أحد بالفضيحة، ودون أن تتصل

صديقة تزف إليها خبر وجود صورها، عاتبت نفسها لماذا خافت إلى تلك الدرجة في تلك الأيام، بل وكادت تقتل نفسها، ها هما أسبوعان يمران دون أن يحدث شيء!

ترى هل نسيها الشاب؟ هل رقَّ قلبه عليها؟ لماذا لم ينفذ وعيده؟ هل هو مثل ما قالت المعالجة أنه لن يستفيد من نشرها شيئاً، وأنه سيخسر كرتاً لو نشر صورها، لذا فهو يحتفظ بها لابتزازها؟ أم تراه وجد أنها لن تنساق له فتركها والتهى بغيرها؟

كم كانت تتمنى لو أنه مات واستراحت منه، حادث سيارة يقضي عليه ويحطم هاتفه، لكنها استغفرت ربها وتراجعت داعية له بالهداية، فلا بد أن له أمّاً تبكيه، وأخوات في حاجة إليه.

كانت ديما تعاتبها على الانغماس التام في الإيمو، أن ننتمي له لباساً وتسريحة لا مانع، لكن أن يتحول إلى أن نصبح مثلهم في حزنهم فهذا أمر مبالغ فيه، لكن غدير لم تجرؤ أن تقول لها سر ذلك الحزن، وإن كانت قصة أختها هي العذر الظاهر دائماً.

- أقول غدير تراك من أسبوعين وجهك مو عاجبني وش القصة؟

- أي قصة؟

- مدري! أدري بتقولين لي أختك وتذكرتيها لكن صدقيني

فيه شي عندك؟

- لا والله ما فيه شي .. وش راح يكون فيه يعني؟

- مدري .. المهم ترى شغلة الحزن هذي مو حلوة .. لا تلعب فيك العنود .. إيمو وستايل ما عليه لكن تنقلب حياتنا ونصير كأننا في حداد فلا وألف لا ..

- كل واحد يختار اللي يناسبه..

- وأنت متى عرفت الحزن ؟ أختك متوفاة من خمس سنين والحين جاية تتذكرينها؟ ياختي هذا عمرها وهذا اللي كاتبه الله لها ..

بكت غدير ونزلت دموعها وهي تقول: أرجوك ديما .. لا تقيسين الناس عليك.. أنا كذا وش أسوي ؟! كلما تذكرت أختي جتني هالحالة .. ولا تنسين أنها أختي ..

- ما قلت شي .. وبعدين وين الشاب مدري وش اسمه ما عاد أسمعك تتكلمين عنه من كم يوم؟

- خلاص انتهى كل شي بيننا ..

- ليه.. وش صار؟

- مدري قلت له لا عاد تتصل .. مليت منه ومن شغلة المكالمات..

- لحوول .. وش صاير؟ ما كنت فرحانة وش اللي صار؟

- ما صارت حياة يا ديما .. جوالي عليه قفل خايفة من أخواتي يقرون رسالة ولا يشوفون صورة .. وعلى الصامت طول الوقت .. وأخاف من كل رنة يكون هو .. وأتخبى عن أهلي كني مسوية جريمة .. يا ختي يا زين الحياة بدون مكالمات .. عايشة في سعادة ..

- بكيفك .. أصلاً المكالمات مو لايقة لك .. لكن بأقول لك شي .. إذا مشكلة أختك متعبتك كثير روحي طبيب نفسي يشوف لك حل ..

- وش قصدك؟

- لحول .. مو قصدي شي انسي الموضوع .. صايرة حساسة كثير بعد الإيمو (تضحك)

ضحكت غدير هي الأخرى . ثم قالت:

أنا عضوة ممتازة مو مثلك ..



13

انتهت الإجازة .. وبدأ عام دراسي جديد ..

صباح ذلك اليوم نهضت غدير وهي تشعر بكثير من الألم، عادت بها الذاكرة إلى عام مضى عندما خطت خطواتها الأولى إلى الجامعة، وقتها كانت لهفتها كبيرة وهي تبحث عن صديقاتها، وكم كانت سعيدة وهي تجلس معهن يتحدثن عن الثانوية وقصصها.

هي الآن تجر خطاها، تعود إليهن مكلومة بعد أن تركتهن وهي تضحك من كل قلبها، تعود إليهن مهمومة بعد أن كانت لا تعرف سوى الفرح والابتسامة.

لبست ملابسها السوداء، ووضعت الكثير من الكحل والظل الأسود، وجعلت خصلة من شعرها تنسدل على عينها اليمنى، ولبست الكثير من الإكسسوارات الكبيرة.

في ذلك الصباح المشرق كانت السيارات تسير حثيثة في شوارع الرياض الواسعة، طريق الملك فهد يعج بعشرات السيارات، حافلات لنقل الطالبات والمعلمات، وأخرى للعمالة،





وسيارات كثيرة تتجه بأصحابها إلى أعمالهم ومدارسهم، باتت تتساءل في داخلها ترى هل فيهم من هو حزين مثلها؟ هل فيهم من يشعر بالخوف من فضيحة ما؟

ظلت تنظر بحزن إلى السيارات وهي تنحشر في كآبة أول يوم دراسي، ما يجلب لها الفرح والحزن معاً هو أنها ستقابل صديقاتها، ستفرح بهن لكنها ستكون أكثرهن حزناً، قد تنهار في أي لحظة بمجرد أن تقول إحداهن: ما بك يا غدير .. وجهك مرعوب؟!

سارت السيارة في شوارع الحي الشعبي الصغيرة قبل أن تصطدم بأرتال من السيارات تحاول أن تجد لها مكاناً عند بواباتها المتعددة، كانت تقترب من البوابة رقم "٤" التي اعتادت أن تدلف منها، ليدور السائق ويقف قبالة البوابة الداخلية.

هناك وجدتهن، كن يتصافحن ويقبلن بعضهن بعضاً، ويتحسرن على مرور الإجازة سريعاً، وكل واحدة تتباهى أين سافرت وأين قضت هذه الإجازة.

لم تكن وحدها تتوشح السواد، فقد فاجأتها ديما كذلك، كما أن العنود ها هي تقبل بكآبتها المعتادة، في تلك الجلسة تلقين سخرية من الكثيرات من الصديقات على انتسابهن إلى الإيمو.

- بصراحة ما لكم داعي .. خاصة أنت يا غدير ما توقعتك تسوين كذا أما ديما فهي هبلة يطلع منها كل شيء..

قالتها سحر وهي تضحك .. فردت ديما عليها:

- أعرفك تقولين كذا عشان شكلنا عاجبك .. ترى حنا نسمح بدخول عضوات جديدات .. ولكن قبل أن تدخلي في " الإيمو " فيه شروط وواجبات عليك تسوينها ..

- ما شاء الله شروط وواجبات؟ وش قالوا لك بأدخل منظمة الأمم المتحدة! وبعدين من قال لك إني معجبة بهالخرابيط اللي قاعدين تسوونها.. اللهم لك الحمد والشكر .. وبعدين الجامعة مليانة بنات ملتزمات أكيد راح يحاربونكم ويشوهون سمعتكم .. أقول خذوها من قاصرها واتركوا هالإيمو..

- ما يهمنا أحد .. حنا ما سوينا شي غلط ؟! هو ستايل مثله مثل أي ستايل ..

- تبي تقولين لي إنكم ما أخذتم من الإيمو إلا شكل..

- هذا اللي حاصل .. غير هالشغلات ما عندنا ..

كان الحديث مقتصراً بين ديما وسحر.. مع مداخلات من

أخريات، بينما كانت غدير تراقب في صمت، ساعة تتعجب من طريقة ديما وهي ترد على سحر ، وتارة تأخذها الهواجس بعيداً وقد تخيلت أن الصور قد ظهرت، وأنهن يتحدثن عن فضيحتها، كانت تقول في نفسها مجرد ستايل جعلهن يتحدثن بهذه القسوة والتفاعل، فكيف لو كان الموضوع صوراً منشورة على اليوتيوب؟!

ظهراً عادت إلى البيت بعد أن أنهت إعداد جدولها، حرصت أن تكون لديها محاضرات في كل يوم، لعل ذلك يساعدها على أن تكون مشغولة على الدوام، كانت مقبلة على فصل دراسي تراه طويلاً.

استنكرت أمها ذهابها بالشكل الذي هي عليه، ملابس سوداء وقصة شعر غريبة وكحل أسود كثيف، أخبرتها غدير بأن ذلك ستايل جديد، وأن الكثير من البنات قررن في هذا اليوم أن يحضرن أول يوم وهن بهذا الشكل..

لكن أمها كانت تشعر أن ابنتها تعاني من شيء ما:

- **مدري يا غدير وضعك مو عاجبني..**

- **أي وضع يا يمة ..**

- صاير لك فترة وأنت مو بنتي اللي أعرف ..

- (بارتباك) كيف؟ وش قصدك؟

- وجهك شاحب .. وسهرك كثير .. وأكلك قليل .. و ..

- (قاطعتها) ما عندي شي يا يمة .. بس تعرفين إذا قربت الدراسة تلخبط نومي وفوق هذا طفشانة كان ودي نسافر نروح أي مكان ..

- أنت عارفة هالسنة عندنا زواجات ومناسبات .. وأبوك ما قصر قال لي بس أنا قلت نخليها السنة الجاية .. تعرفين السفر يبي مصاريف..

- وأنا ما قلت شي ومقدرة هالشي ... لكن تعرفين صديقاتي كلهم سافروا وكل وحدة تحكي لي وين راحت وين جت وأنا جالسة في البيت هواجس ونت ..

- وأنا بعد مخليتك على راحتك .. تروحين السوق وعند صديقاتك عشان ما تشعرين بالطفش ..

شعرت غدير بذلك المغص في المعدة عند سماع كلمة " على راحتك " تمنت لو أن أمها ضيقت عليها، ولم تتركها تتعرض لذلك الموقف، كم كانت تتمنى لو أنها ترفض أن تذهب وحيدة لما

تعرفت على ذلك الشاب.

سكتت غدير وجرت خطاها إلى غرفتها وهي تفقد حماسها تدريجيّاً، وأمام مرآتها وقفت تنظر إلى نفسها، هنا انفجرت في بكاء عنيف، رأت نفسها كمهرجة بهذا اللباس الأسود وقصة الشعر والكحل الأسود، أخذت تلوم نفسها إلى هذا الحد وصل بها الخوف أن تفعل بنفسها كل هذا؟!

أسرعت إلى دورة المياه تغسل الكحل الأسود والماكياج الصاخب عن وجهها، ثم خلعت ملابسها، لترمي بنفسها على سريرها تبكي حالها.



14

استطاعت ديما بجرأتها أن تستقطب إلى الإيمو الكثير من الطالبات، بعضهن جذبهن المظهر الجذاب الذي ظهرت فيه ديما، وطريقة إبرازها لنفسها دون خوف، بينما أخريات احتجن إلى تطمينات أن الإيمو ليس بداية لما هو أسوأ.

تعودت في حياتها أن تفعل أشياء دون رقيب، أبوها رجل كثير الأسفار، بعد وفاة والده ورث عنه ثروة جيدة مكنته أن يعمل في التجارة، وكان يستورد مواد بناء مختلفة، يسافر إلى الدول التي تصنعها ويشتريها منهم بثمن بخس، ثم يبيعها بأضعاف ثمنها، مكنه ذلك أن يجمع ثروة سريعة.

أمها أستاذة في علم الاجتماع، تقضي جل وقتها بين محاضراتها وبحوثها، لها آراء جريئة في كثير من شؤون المرأة، ترى أنها لم تأخذ حقها وحريتها المكفولة لها، لها مقالات في بعض الصحف تبث فيها تلك الآراء.

كانت مقاهي الكلية مكاناً يجتمع فيه الأعضاء، تلتف المقاعد بعضها حول بعض ويدور حديث صاخب بينهن، ويتبادلن

Browse Upload Create Account Sign In



أحاديث عن أماكن بيع ملابس الإيمو وإكسسواراته، وعن آخر أغانيه.

بعد أن تكاثرت أعداد المجموعة، اقترحت ديما أن تعقد لهن اجتماعاً، فخافت غدير أن يحدث لهن مثل ما حدث لفتيات الإيمو في المنطقة الشرقية من إلقاء القبض عليهن، فأخذت ديما برأيها، وقررت أن يكون الاجتماع في منزلها، هناك سيكون الجميع في مأمن من كل شيء.

كان ذلك مساء يوم أربعاء، عندما اصطف في منزل ديما خمس عشرة فتاة، كن بملابس سوداء ، وتسريحة تكاد تكون متشابهة، وإكسسوارات كبيرة على المعصمين.

تكلمت ديما عن الإيمو وحكت كل ما تعرفه، لكن حديثها كان ينقصه الكثير من المعلومات، لتستأنف العنود الحديث عندما قالت:

الإيمو يا أخوات اختصار لكلمة إنجليزية هي "emotional"، وتعني العاطفة، فالعاطفة هي أساس الإيمو، وأول ما ظهر الإيمو كان ذلك في أمريكا الشمالية، ثم اتسعت دائرة الإيمو لتشمل أوربا، ولينضم إليه كل شخص حزين أو كئيب أو متشائم، ثم تطور الإيمو لتكون له موسيقى مخصصة، كما ظهرت بعض برامج

الكرتون معترفة بوجود هذه الجماعة.

الإيمو يا أخوات هو تنفيس لكل حالة كبت، فالإيمو قوي بعاطفته حيث لا يشعر بضعف عندما يقول أنا خائف، أنا متشائم، أنا منبوذ ...

قاطعت ديما حديثها، كانت تشعر أنها ستسحب البساط منها، لذا رأت أن تتحدث عن أمور إدارية، فتحدثت عن ضرورة التعارف بين الأعضاء، وتساءلت عمن تتولى إنشاء صفحة لهن على الفيس بوك، للتعريف بأعضاء الإيمو في السعودية، وللالتقاء مع غيرنا من خارج البلاد، ولاستقطاب من يرغب الانضمام.

في تلك اللحظة شعرت غدير بمغص المعدة، وبالطبع لم ترفع يدها، تاركة إحدى الفتيات تبدي استعداداً لذلك، كانت تريد أن تبتعد عن كل شيء له علاقة بالنت، على الأقل في هذه المرحلة الصعبة.

عادت العنود مرة أخرى تذكر الفتيات أن الإيمو ليس ستايل فقط، بل يجب تطبيق أهم جزء فيه وهو الحزن، فانبرت ديما ترفض ذلك، لينشب خلاف بين الاثنتين، فقد كانت ديما تراه شكلاً دون الدخول في الحزن والكآبة.

ومهما يكن فإن الأكثرية يرينه ستايل، وتكاد تكون العنود وغدير هما الأقرب إلى الإيمو كروح، إلى تطبيق الجانب العاطفي منه.

انتشر خبر تكوين جماعة الإيمو في الجامعة، وقوبل هذا باستهجان كثير من الفتيات الملتزمات، كن يرين في ذلك تغريباً لفتيات الإسلام، ورأته أخريات شكلاً سخيفاً غير جذاب وتقليداً دون أن يكون له جمال، وفي المقابل وقفت الكثيرات في الحياد غير مباليات بما يرين، معتبرات ذلك شيئاً شخصيّاً.

حاول الكثير من الملتزمات رفع خطابات إلى إدارة الجامعة لعلها تتحرك وتقمع هذه الظاهرة دون تفاقمها، لكن إدارة الجامعة لم تتحرك التحرك الذي يرينه مطلوباً، فقررن العمل بطريقتهن.

لم تمض أيام حتى أصبحت الطالبات يرين لوحات كتب عليها أحاديث شريفة لمن يتشبه بقوم، وأنه سيحشر معهم، وأن من أحب قوماً فإنه منهم، وأن النار ستلتهم أجسادهن إذا مشين في تقليد اليهود والنصارى في أفعالهم.

لم يثن ذلك عضوات الإيمو عن المضي قدماً في انتمائهن الجديد، كن يرين مناهضتهن من قبل الأخريات وقتاً وسينتهي،

وسيتركهن الجميع في حالهن.

ذات يوم اختلفت ديما مع سارة التي كانت تقود ثلة من الملتزمات، كان ذلك في أحد مقاهي الكلية، حيث صرخت سارة قائلة:

- هل تعرفين يا ديما أنك ستحشرين مع هذوليك المنحرفين من أعضاء الإيمو في الغرب، وراح يجيك عقاب رباني إذا ما تبتي عن فعلتك هذه؟

- هذا إذا كنت أقلدهم قلباً وقالباً ، تقليدنا يا عزيزتي تقليد شكلي فقط، تسريحة شعر وطريقة عمل ماكياج، وملابس سوداء أو غامقة.

- اللي هو .. حتى الشكل مطالبين بأن يكون شكلنا على هدي ديننا .. ديما أقول لك هالكلام شفقة عليك .. أخاف أنك في يوم القيامة تتعلقي برقبتي وتقولين ليه ما نصحتيني؟

- ما راح أتعلق في رقبتك وما راح أقول لك شي .. اتركينا الله يخليك .. وبعدين ما عندك مشاكل في الجامعة إلا حنا ؟ شوفي بعيونك كيف الجامعة مليانة بالكثير من



الظواهر الغريبة؟ ما شفتي البويات وعددهم الكثير في الجامعة؟ أنت عارفة أنهم أخطر على المجتمع من عشر بنات بائسات انضموا إلى الإيمو عشان يخففوا من اللي في قلوبهم من حزن وأسى.

- الإيمو ما نفع أحد و ما راح يقدم شي مفيد لأحد.. الخير كل الخير في اتباع هدي ربنا وسنة نبينا .. التوكل على الله هو أساس حل كل مشكلة . لا بتقليد أعمى ..

أنقذ النقاش الحاد دخول وقت محاضرة لسارة، فنهضت وهي ترفع يديها إلى السماء بالدعاء لديما بالهداية، ثارت ديما ورأت في ذلك إهانة، هنا تدخلت غدير تهدئها وتدعوها أن تنهض للحاق بالمحاضرة القادمة، لكن ديما رفضت بحجة أن ليس لها مزاج في حضورها، بل واتصلت بسائقها تطلب منه أن يحضر حالاً، سألتها غدير إلى أين؟

- بروح الفيصلية .. أجلس هناك أروق.. على فكرة ليش ما تجين معاي؟

- أنا؟

- إيه أنت ؟ وش فيها؟ ساعة ونرجع..

- صعبة .. ما عمري سويتها ..

- خليها المرة الأولى .. إن أعجبك الوضع ولا لا عاد تطلعين مرة ثانية..

- بس بشرط؟

- وشو بعد؟

- ما لنا دخل بالشباب.. ونرجع قبل نصف ساعة من وقت الخروج عشان السواق ما يحس بشيء..

ابتسمت ديما معلنة موافقتها ..

كان التوتر يطغى على غدير وهي بصحبة ديما وتتوجهان إلى برج الفيصلية من أجل قضاء وقت جميل بعيداً عن كآبة المحاضرات والبعد عن الجو المشحون في الكلية.

ذكرها هذا التوتر بتلك الساعات العصيبة التي عاشتها لحظة اشتداد الألم، ندمت أنها خرجت من الكلية، لكنها لم تفصح بذلك لديما خشية أن تسخر منها، علاوة على أن ديما قد بدأت تلحظ سلوكيات غريبة تصدر منها، لذا فضلت الحديث عن النقاش الذي دار بينها وبين تلك الفتاة.



- أشوفك عصبت مرة يا ديما من سارة ..

- ما تشوفين كيف تتكلم وكأن الجنة والنار تحت أمرها .. كل شيء برحمة الله وتدبيره..

- شوفي ما دام أنك مختلفة عن العالم بشي فلا بد يتكلمون عليك.. ما راح يتركونك في حالك .. لذا استحملي واصبري..

- مستحملة وصابرة على النظرات ورمي الكلمات من هذي وذيك .. لكن تجي وحدة وتصارخ في وجهي وتقول بتدخلين النار فهذا ما قدر أصبر عليه ..

وقفت السيارة في مواقف الفيصلية وترجلت الاثنتان، وتوجهتا نحو المصعد، لتتفاجأا بالكثير من الهاربات من الدروس والمحاضرات.

- ديما شوفي .. مو كأنهن بنات في الثانوي؟

- إلا .. هذولي طالبات مدارس أهلية، يغابون من المدرسة ويجون هنا يفطرون ويتسكعون وعند نهاية الحصص يرجعون البيت ولا من شاف ولا من دري..

- معقولة؟!

- آه لو تجين هنا أيام الاختبارات .. زحمة فوق ما تتصورين.. وبعضهم تتواعد مع صديقها وتقابله هنا ..

شعرت غدير بمغص المعدة وتمتمت :

- معقولة؟

- هذا اللي صاير .. حبيبتي .. الناس طفشانة وتحب الونس.. بيني وبينك فيه أحد يترك هالونس ويحضر محاضرة كلها رغي في رغي؟ ولا يقابل هذيك البنت اللي كل شي عندها حرام؟



١٥

ازداد عدد المنتسبات إلى الإيمو، كانت ديما سعيدة وهي تعقد لهن اجتماعات، يتعارفن فيها ويتبادلن الهواتف، كانت كل واحدة منهن تتنافس مع غيرها على من تحضر معلومات أكثر عن الإيمو، وما آل إليه حال الإيمو في الدول الأخرى.

قالت إحداهن:

- حد منكم شاف برنامج الحقيقة على قناة دريم؟

ردت أخرى :

- لا .. ليه وش فيه؟

عادت تقول:

- جابوا لقاء مع مجموعة من شباب الإيمو في مصر، ثلاثة شباب وفتاة كانت على التلفون، المذيع كان قاسي عليهم وهو يناقشهم ويكرر كل شوي أن الإيمو يمكن يكونون إلحاديين أو شواذ جنسيّاً، ويمكن أيضاً أن يجرحوا أنفسهم بآلات حادة .. حاول الشباب يدافعون عن أنفسهم





وينفون عن أنفسهم صفة الإلحاد والشذوذ وإيذاء النفس، لكن تعرفون وش صار بعد كذا؟

ردت ذات الفتاة:

- **وش صار الله يصبرنا عليك؟ كأنك دكتورة علم النفس تتكلم كلمة كلمة..**

قالت الفتاة:

- **في الحلقة الثانية من البرنامج طلع الشباب الثلاثة بعد أن غيروا قصة شعورهم وأعلنوا براءتهم من الإيمو..!!**

صرخت أخرى: وليه؟

عادت الفتاة تحكي بأسلوبها البوليسي:

- **يقولون إنهم انضربوا من أهلهم وجيرانهم .. يقولون ما نبي شواذ يعيشون بيننا، وهم يقولون حنا مو شواذ .. حنا بس شكل لكن محد رحمهم ..**

رددت أكثر من واحدة: عالم جهلة ..

ثم تحدثت ديما واصفة ما حدث بأنه ضعف وهوان.. ثم قالت:

- **يجب على الإنسان أن يكون قويّاً، يدافع عن أفكاره**

ومبادئه، لا يكون ضعيفاً يترك ما يؤمن به من أول إساءة يتعرض لها..

ردت إحداهن:

- أنا في الجامعة يا كثر البنات اللي يتكلمون علي وأنا طناش وما أعطيهم وجه ..

تابعت أخرى:

- يا بنت الحلال كله كوم وهذي اللي اسمها سارة البنت المتزعمة البنات الملتزمات ما عندها تفاهم تجي وتطب في بطنك ولا عندها أسلوب..

هنا قالت ديما :

- سارة هذي جت تخانقني قبل كم يوم، بس ما عطيتها فرصة ، تعرفون وش كانت تقول لي؟ كانت تقول بتدخلين النار يا ديما ..

انبرت إحداهن تقول:

- والنار علمها عندها ولا عند رب العالمين؟

- عقول وش تقولين عاد .. ما تلاحظون شيء غريب في الجامعة؟



قالت إحداهن:

- وش تقصدين يا ديما؟

- أنا أستغرب الهجوم الشرس علينا وهاللوحات المكتوبة والإيمو من عبدة الشيطان والإيمو إلحاد وكفر ونسوا أن فيه عشرات البنات بويات ولا أحد يقول لهم شيء.. مع أن البويات خطرهن أكبر .. يضايقون الطالبات المستجدات ويجلسون يسوون حركات في ممرات الجامعة مع أنهم واضحات في ملابسهم ونظاراتهم السود..

عقبت إحداهن:

- أي والله كلامك صحيح.. البويات أخطر أخلاقيّاً من عشر أو عشرين بنت مسوين أنفسهم إيمو عشان الاستايل ..

قالت أخرى:

- أنا لي صديقة مستجدة متسلطة عليها وحدة بوي .. أعوذ بالله تقول رجال ..

ضحك الجميع .. واستأنفت الفتاة حديثها :

- كل شوي تقرب منها وتقول لها كلام يجرح ...



قالت ديما:

- **لو أنا مكان هالبنت كان أروح للعميدة أشكيها .. أشهد عليها كم بنت , أقدم شكوى ..**

ردت الفتاة صاحبة القصة:

- **هذا اللي قلت لها .. حاولي تشهدين كم بنت واشكيها على العميدة .. خليها تتأدب..**

عادت ديما تقول:

- **بالله يا بنات أي أخطر على المجتمع حنا ولا هذولي البويات؟ بس وش تقولين ناس ما تفكر .. ناس يهمها الشكل أكثر من الجوهر ..**

قالت العنود:

- **مع أن ديننا الحنيف ركز على أن المظهر والشكل غير مهمين وأن المهم هو القلوب !!**

عادت ديما تقول:

- **المهم أبي بنت شاطرة بالكومبيوتر تسوي لنا منتدى نجتمع فيه ونكتب فيه خواطرنا ومقالاتنا .. ونعرف**

Browse Upload Create Account Sign In



الناس بنا ..

تقدمت فتاة مؤكدة قدرتها على ذلك، وأن المنتدى سيكون جاهزاً خلال أيام، بعد ذلك نهض الجميع كي يرقصن على موسيقى الروك، وعلى أغاني أجنبية تحكي الألم والحزن والبؤس، لكنهن في الواقع كن أبعد عن ذلك.

أصبح المنتدى وصفحة الفيس بوك مظلتين تجتمع الفتيات تحتهما، وتسابقن على نشر موضوعاتهن وخواطرهن في المنتدى. وبرزت من بينهن العنود بخواطرها الموغلة في الألم، حتى لقبت بأديبة الإيمو .. كتبت تقول في إحدى خواطرها:

مددت يدي نحو الحياة فصفعتني بسهام غدرها .. توكأت على جراحي .. وسرت على ضوء الحرمان .. سنون عجاف أحاطت بي .. رأيت قلبي أشلاء .. متناثراً على قارعة الطريق ...ودماؤه تسبح فيها مشاعر الغدر والخيانة .. أيام متناثرة وليال عصيبة .. حملت كفن أحزاني على عاتقي ودفنتها في قلبي ..

ومضيت نحو الحياة مرة أخرى .. اصطدمت بسراب الأمل من جديد .. أرخت الأيام ستارة الظلام على أريكة جراحي .. كفكفت دموعي بيدي النحيلتين ..

زهقت روح بسمتي فوق شفتي .. تاركة نفساً لها أجيج باكٍ..
يبحث عن جسد وروح .. لم يبقَ له سوى ذكرى من الأمل..

كانت خواطر العنود تجد ردوداً كثيرة وزيارات كثيرة من القراء في المنتدى، كما كان حائط صفحتها في الفيس بوك يجد تعليقات كثيرة وإعجاباً بما تكتب.



16

لم تعجب تلك الاجتماعات العنود وغدير، وجدتا فيها سخرية من الإيمو، وانتماء سمجاً، كانت العنود تصف أولئك العضوات بأنهن مثل البطة العرجاء، وأنهن كممثلات مبتدئات لأول مرة يقفن على خشبة مسرح.

وجدتا الحل في اجتماعات خاصة، بعيداً عن أعين الأخريات، كانت كل منهما تزور الأخرى في بيتها، تقارب كبير في الألم والمعاناة، كانت كل منهما تجد راحة بجوار الأخرى.

في منزل العنود حكت غدير قصة إحدى فتيات الإيمو التي تعرضت إلى الضرب الشديد من أحد إخوتها، عرف أن ما تصنعه من وضع كحل شديد حول العينين وإسدال شعرها على وجهها وملابسها السوداء ما هو إلا انتماء للإيمو.

لقد كانت تشعر بحزن بالغ، كونها البنت الوحيدة مع خمسة إخوة في ظل أم متوفاة أعطاها كل ذلك إحساساً بوحدة قاسية، كانت تصرخ في إخوتها بأن لا أحد يفهمها، وأنهم قساة في حقها ولا أحد يلبي طلباتها، كان كل ذلك سبباً أن يهجم عليها



أخوها بوحشية يضربها وهو يصرخ: أريد أن أعلمك كيف لا يحبك أحد الآن ..!

لفَّ الحزن أفواههما بلجام من أسى، واستسلمتا إلى نداء البكاء الذي ظل يلح عليهما بقوة، كان منظر الفتاة وهي تتلقى ضربات أخيها كسياط تضربهما بقسوة.

تنهدت العنود وقالت: أعرف ما تقاسيه البنت، أشعر بكل آلامها، حياة قاسية، وإخوان لا يرحمون، قلوبهم قاسية! أستغرب كل هالقسوة! البنت ما لها حق تعيش مثل ما يعيشون؟ ما لها حق تطلع وتتمشى؟ ما لها حق تسافر وتشوف الدنيا؟ ليه يصرون على تكبيلها في بيتها؟ ليه يحكمون عليها بالموت في بيت أهلها ويعتبرون زواجها إفراجاً من سجن مؤبد؟!

كفكفت دموعها وقالت:

إخواني وكل يوم خميس يجون يسلمون على أبوي، مع جيتهم ينقلب البيت صراخ وضحك، يأكلون ويشربون ولا واحد منهم يقدم ولا ريال واحد، وأبوي مستحملهم ، ما يبي يفقدهم، هو بحاجة إليهم، تعرفين صار محتاج لهم كثير.

تصدقين ولا واحد يجيب معاه أكل أو فواكه أو أي شي

للبيت، يعاملوني وكأني خادمة عندهم، يصارخون في وجهي: ليه الأكل مو حلو؟ اطبخي لنا طبخة جديدة؟ ليه اللحم قليل؟ وين السلطات والمقبلات؟ آه لو أدس السم لهم، أرتاح منهم ويرتاح أبوي، لكني أخاف من عذاب الله، أتسلى بالصبر، والأمل قادم بإذن الله.

أخوي الصغير .. شقيقي وابن أمي وأبوي .. مو أفضل منهم، هو الآخر صار مثلهم .. تعلم منهم كل شيء، الصراخ في وجهي، والتعامل معي كخادمة، يطلب الأكل بنفس سيئة، ويتذمر من كل شيء، لا ينفذ طلباتي ولا يجيب احتياجاتي، مرة طلبت منه يوديني إلى ماكينة الصراف المجاورة عشان أسحب مكافأتي الشهرية، رفض ، ولما ألحيت عليه أخذ البطاقة وراح يصرف لي، لما رجع عرفت أنه أخذ مبلغ كبير ثمن مشواره.

تصدقين مرة كنت بحاجة إلى المال، خرجت إلى الصراف القريب، حسيت بسيارة تلحقني، خفت وتعالت أنفاسي، صرت أركض وأنا أبكي وأتمنى الموت لأخلص من مشاكلي.

اعتصر قلب غدير من كلام العنود، عرفت أنها في حال أحسن، والداها يعاملانها معاملة حسنة، وليس لديها إخوة كبار،



هي سيدة نفسها، وحتى وإن قست عليها أمها فهو في حرصها عليها.

لكنها يجب أن تشارك العنود في الألم، أن تشاركها البوح بالألم، فتمتمت قائلة:

كأننا خلقنا للألم، كأنه مكتوب علينا، صادقنا وصادقناه، نستغرب يوماً يمر دون أن يشعرنا بقربه منا، أختي ماتت أمام عيني .. صورتها وهي تضرب بيديها الماء تميت كل خلية حية في جسدي، كنت السبب في موتها، قالت لي أعرف السباحة فطلبت الدليل، توسطت المسبح وغرقت.

صورتها وهي ممددة خارج المسبح وعيناها جاحظتان لم تغادر مخيلتي، أصحو وأنا نائمة عليها، أشعر برعب كبير، أتمنى حضناً ألجأ إليه، لو فعلتها مع أمي فستسخر مني، وستصفني بطفلة تبحث عن حنان.

عشت بعدها وحيدة، شعرت بفقدها، رغم أني أختلف معها كثيراً إلا أنها كانت قريبة مني، نقتسم غرفة واحدة، كنت أستأنس برأيها في ملابسي، ونتحاور معاً، ونحلم معاً، وننتقد أمي وأبي في بعض تصرفاتهما.

رحلت وتركتني أقاسي كل شيء، وتتقاذفني أمواج الحياة كيفما تشاء، تهت بعدها، فقدت توازني، شعرت أني أعيش حياة ناقصة، ألمها يجرني إلى عالم من الألم والحزن.

نهضت العنود من مكانها، وأدارت الاستريو الكبير بأغنية قائلة:

- استمعي يا غدير .. كم تؤلمني هذه الأغنية ..

كانت الأغنية لمطرب عربي، يستنكر كيف تغيرت حياته، وأصبح ينكر نفسه، وأنه لم يعد يعرفها من كثرة ما أصابها من هموم حتى تغير شكله وكبر فجأة.

كان صوته وهو يردد كلمات تلك الأغنية يخرج متحشرجاً، استطاع أن يصور تلك الكلمات تصويراً رائعاً جعل الاثنتين تبكيان كثيراً، وخاصة غدير التي ترى أنه يتحدث على لسانها، وأن حياتها قد تحولت بالفعل إلى حياة ألم ومعاناة.

عندما سكتت الأغنية كانت غدير في وضع نفسي سيئ، لم تعد قادرة على كتم سرها، فجأة وجدت نفسها تبوح بما كانت تكتمه لأيام كثيرة مضت ..

- العنود أنا عندي موضوع هو اللي مخليني خايفة وأصير

حزينة إلى هالدرجة..

- موضوع؟ غير موضوع أختك؟

- موضوع أختي بصراحة صح أنه مقلقني بس مو لها الدرجة.. هالموضوع يخوف ويمكن يوديني في داهية.

- داهية؟! وش صاير يا ربي؟

- أي والله يا العنود .. يمكن أطيح في أي لحظة..

سكتت العنود تنتظر غدير حتى تتوقف عن بكاء هجم عليها، وبعد أن هدأت أخبرتها بقصة الشاب الذي ينتظر في أي لحظة كي ينقض عليها.

توقعت غدير من العنود أن تقدم لها حلولاً، لكنها اكتفت بمشاركتها في نوبة بكاء جديدة.



17

مرت أسابيع وغدير ترى نفسها تؤدي دوراً تمثيليّاً سمجاً، كأنها سلخت جلدها ولبست جلداً ليس لها، كم كرهت نفسها وخوفها، تود أن تكون بمثل شجاعة ديما، تتصرف بكل ثقة، تفعل أشياء جريئة، دون خوف أو وجل، تتجادل مع الكثيرات من الفتيات وتخرج من الجامعة وتفعل كل ما يحلو لها.

أما هي فقد أصبحت فتاة أخرى بصفات تمقتها، أصبحت تهمل محاضراتها، لم تعد تستعد لامتحان أو تراجع درساً، حتى الخروج من الجامعة تعلمته، بل وأصبحت تطلب من ديما أن تخرجا معاً، باتت تتساءل إلى أين تتجه وإلى أين تقودها حياتها الجديدة.

أسابيغ مرت وهي صامدة، نفد صبرها ولم تعد قادرة على أن تصبر أكثر، بل لم يكن هناك موعد محدد لنهاية هذا الصبر، سنة؟ سنتان؟ ثلاث؟ لا يوجد وقت لهذا الصبر الذي يفتت الأعصاب.

باتت ترتجف ألماً، تذكرت حياتها السابقة دون ألم، كم كانت سعيدة وكم كانت هانئة البال، الآن هي مخلوقة أخرى

بثوب آخر، تعيش مع الألم وتنام معه، تظل تنظر في وجوه الأخريات وهن يضحكن ويمرحن، بينما هي تنظر إليهن وتتألم، ضحكاتهن تشق الآذان بينما ألمها بين جدران صدرها لا تقدر أن تظهره لأحد.

أصابها الندم على أنها أسرت بألمها إلى العنود، التي لم تجلب لها سوى مزيد من الاتصالات الخائفة، كانت تتصل بها كل ليلة وتخبرها أنها لم تر شيئاً على اليوتيوب، كانت تذكرها بمصيبتها كل ليلة، كانت تود أن تصرخ فيها كفى، لكنها ترى أنها تحاول مساعدتها بطريقتها.

في عصر ذلك اليوم دخل عليها أبوها وهي ممددة على سريرها في ألم، كان وجهه شاحباً، صعد الدم إلى أعلى رأسها، خافت .. ارتجفت .. هل حانت ساعة الحقيقة؟ هل انكشف كل شيء؟ كادت تنهض من سريرها وترمي بنفسها تحت أقدامه معلنة أسفها وندمها، وأن كل شيء حدث دون وعي منها.. لكنها شعرت أن قدميها ثقيلتان، لم تستطع أن تحركهما فترنحت في مكانها، تنتظر توقف قلبها في أي وقت.

جلس أبوها على حافة سريرها، لأول مرة يفعلها، لم يكن يملك وقتاً ليجلس مثل هذه الجلسة، كان يفرك في يديه، ويتلكأ

في كلامه، لا بد أنه علم بالفضيحة وجاء يستفهم منها، سيق له الخبر فجاء يسألها عن القصة.

- بابا .. مدري وش أقول لك .. لكن ..

- غدير أعرف أن الموضوع صعب عليك .. لكني لا أقدر أن أتصرف من دون أن أشاورك .. فالقرار لك وحدك ..

- وش أقول بس ؟! كل شي صار بسرعة يا بابا .. صدقني..

- أعرف كل شي يا غدير ..

- تعرف؟

- أيوه .. لقد طلبت من أمك أن تخبرك بهذا الموضوع لتأخذ رأيك وتعرف هل أنت مستعدة ولا لا .. يا بنتي كثير من البنات يرفضن الزواج خوفاً منه .. لكنهن وبمجرد أن يتزوجن يشعرن بسعادة وينطلقن في حياتهن الجديدة..

- زواج؟

- نعم .. أمك ما قالت لك؟

- لا .. ما قالت شي..!

- يمكن تبيني أنا اللي أتكلم معاك .. عموماً هو شاب في السابعة والعشرين من عمره موظف في شركة مشهورة، وراتبه محترم وقبل هذا كله من عائلة محترمة ..لا شيء يعيبه يا بنتي ..

- ولكن؟

- خذي وقتك .. ما راح أجبرك على الزواج .. ولكن هو شاب ما يفوت ..

خرج والدها وظلت على سريرها بذهن مشوش يفكر في أمور كثيرة ... الزواج .. الشاب الذي يهددها .. الصور المنتظرة .. الإيمو .. الجامعة ... إلى أن استقر عند نقطة أصابتها برعب أكبر، كيف أنها كادت تفضح نفسها، وكيف أن والدها كان يحمل الهم لموضوع زواج فكيف لو كان الموضوع صور ابنته على الإنترنت؟!!

ثم ما هذا الزواج؟! وهل هذا وقته؟ لماذا جاء في الموعد الخطأ؟ كثير من الفتيات يفرحن بهذا الزواج والخلاص من بيت أهلهن لكنها لن تكون سعيدة به، وكيف لها أن تكون سعيدة وفضيحة تنتظرها؟ هناك ومع زوج ستكون الفضيحة أكبر.

شرعت تفكر هل ترفضه؟ هل تطلب أن تنهي دراستها الجامعية كي يكون عذراً لها؟ بعد ثلاث سنوات سيتضح معها كل

شيء.. ستعرف على أي أرض ستسير.. إما فضيحة عرمرم أو أمان مطلق.

نزلت عند أمها، سألتها عن قصة هذا الخاطب، تأسفت أمها أنها لم تخبرها بموضوعه، فقد كانت تريد أن تتريث يومين أو ثلاثة بينما والدها يرى أن هذا الشاب لا يجب أن يضيع منهم.

كانت تدور في صالة البيت وهي تسمع من أمها هذه الكلمات، هل كانت تحاول أن تخفي حزنها القابع في جسدها؟ ربما .. سألت: ومتى كان هذا الكلام؟ ردت أمها:

- الشاب تقدم لنا قبل ثلاثة أسابيع .. سأل عنه أبوك في عمله .. وفي حارتهم .. سأل عنه وعن عائلته.. كان أبوك يأتي كل يوم فرحان بما يسمع .. كان يكرر ويقول هذا شاب لا يفوت .. عشان كذا حنا ننتظر منك موافقة ..

- وكم المهلة الممنوحة لي؟

- في أسرع وقت يا بنتي ..

- يومان ؟ ثلاثة؟ أسبوع؟

- أسبوع كأقصى حد ..

سمعت غدير الجملة الأخيرة وسحبت خطاها إلى غرفتها

وكأنها تشعر أن الدنيا صارت تقلب لها ظهر المجن، فغدت لا ترى منها إلا كل لون أسود وخبر مفزع.

ترى بماذا سترد وبم ستجيب؟ هل سيقتنع والدها بفكرة إكمال دراستها؟ لقد سألوا عن الشاب ووجدوه مثاليّاً فهل تفرط به وكل فتاة تتمنى مثل هذا الشاب زوجاً لها؟ كيف ستعيش حياة سعيدة وشاب كالذئب يتربص بها وينتظر ساعة افتراسها؟ ما ذنب هذا الشاب الزوج عندما تتلوث سمعته بفضيحة زوجته؟

لم تجد لها سلوى سوى البكاء، فتمددت على سريرها مستسلمة لبكاء كالأطفال، نزلت منها دموع كثيرة وهي تدعو في داخلها أن يرحمها الله وأن يخفف عنها هذا الألم الذي لا يحتمل.

كم كانت تتمنى في هذه اللحظة لو أنها هي التي قضت في مسبح الاستراحة ولم تعش هذه الأيام السيئة، أياماً سوداء لم يدر بخلدها أنها ستعيشها أو تمر بها؟

قررت أن تتحرك وأن تفعل شيئاً، يجب أن تعرف أي جهة ستسلك في حياتها، لذا عزمت على الاتصال بديما تستشيرها، إن كانت العنود ضعيفة ولم تقدم حلّاً، فإن ديما قوية بما يكفي لأن تفكر في حل مفيد.



18

اتصلت غدير بديما وأخبرتها بدموع تنهمر بكل شيء، الصور والفضيحة المنتظرة، والخاطب الذي ينتظر رأيها، باركت لها ديما خطوبتها ثم لامتها على تهورها بإرسال صورها، قائلة هل هناك بنت عاقلة تفعلها؟ وإنها الآن عرفت سر ذلك الحزن الكبير الذي أصابك، وإن موت أختك لم يكن سبباً منطقيّاً أبداً.

صرخت غدير فيها طالبة أن تتوقف، وأن تجد لها حلّاً بدل أن تزيد من آلامها، فأكدت لها ديما أن لا شيء يدعو إلى هذا الخوف الكبير، كان من المفترض أنها حطمت تلك الشريحة ونسيت الموضوع، ولم تترك لذلك الشاب فرصة أن يتلاعب بها، قالتها ببرود وهدوء أعصاب.

لكن ذلك الحل لم يرق لغدير، تلك التهديدات الكثيرة التي بثتها رسائله ترنو أمام عينيها، وذلك الصوت الذي يصرخ بالوعيد والتهديد يرن في أذنيها.

عادت ديما تبث فيها عبارات الاطمئنان، قائلة: صدقيني لن يفعل لك شيئاً، مجرد شاب يهدد حتى يحصل على ما يريد، لو



تركتِه فلن يفعل لك أي شيء ..

ردت غدير بأنها لا يمكن أن توافق على الزواج وهي تشعر أن هناك ما يقلقها، هذا طبعها وهذه طريقتها، لا يمكن أن تنغمس في حياة جديدة دون أن تكون الأرض التي تسير عليها صلبة، ودون أن تكون السماء التي تظلها صافية، لا تستطيع أن تتعايش مع هواء بارد يلسع جسدها، لا تقدر أن تبتسم وهناك رعب يطل عليها من النافذة.

سكتت ديما قليلاً لتقول: فهمت عليك .. طيب قولي لأبوك وهو يتصرف.. فيه كذا جهة تقدر تتصرف في مثل هالمشاكل.. انتفضت غدير قائلة:

- **أقول لأبوي ؟ أنت مجنونة! والله لو يدري بيذبحني قبل ما يحل المشكلة.. واللي يرحم والديك شوفي حل ثاني ..**

- **طيب افتحي الشريحة القديمة وشوفي وش فيها، إذا ما وجدت شي .. انتظري ثلاثة أيام .. وبعدين اكسري الشريحة وإلا كسرتها أنا ..**

اطمأنت غدير إلى هذا الحل، فأسرعت إلى درج تسريحتها تخرج الشريحة القديمة، فوجدت رسائل تهديد كثيرة منه ووعيداً

بالإقدام على تنفيذ تهديده، وأن صبره قد نفد، وأن ساعة الفضيحة قد حانت..

ارتجفت كعصفور مبلل، بكت كطفل بائس، قرأت على ديما تلك الرسائل، شعرت ديما بجدية الشاب، والوضع المخيف الذي تعيشه غدير، فجلستا تستعرضان حلولاً مختلفة، حتى توصلتا إلى حل رأتاه سليماً، ستتصل به غدير وستوافق على مقابلته ولكن في مكان عام ليكن ذلك في تلك المكتبة، لعله إذا رآها يترك عنه لغة التهديد التي ما فتئ يقولها.

كانت غدير تريد أي حل غير الاختباء والتقوقع خلف الخوف والوهن، لذا راقت لها مقابلة ذلك الشاب في مكتبة ذلك السوق، وخاصة أنها لن تكون وحدها، ستكون ديما معها، ذلك سيشعرها بالقوة اللازمة كي تقف على قدميها، وأن تطلب منه أن يكف عن مطاردتها.

لكن أن تتصل به هو ما يؤرقها، لم تعد تطيق سماع صوته، أو سماع كلمات تهديد جديدة، حاولت كثيراً مع ديما أن تتصل به، لكنها رفضت بحجة أن الشاب لن يصدقها، وقد يعتقد أن في ذلك خدعة، ويزداد الأمر سوءاً.



أخيراً وبعد طول تردد قررت أن تتصل به، تشجعت وبصوت بارد قالت له:

- **تبي تشوفني؟**

- **أكيد.. بس وين الناس؟ من زمان ما سمعت صوتك؟ ليه جوالك مغلق طول الوقت؟ أكيد مخليتيه على خدمة موجود..**

- **شوف .. راح أخليك تشوفني بس في نفس المكتبة..**

- **أي مكتبة؟**

- **اللي تقابلنا فيها أول مرة ..**

- **آه .. مكتبة حبنا .. موافق .. متى؟**

- **بكره العصر ..**

قليل من الراحة شعرت به، أن تواجه مشكلاتك بحزم فهذا شيء جيد، في تلك الليلة وضعت احتمالات كثيرة للقائها بالشاب، في كل الأحوال وجدت أنه لا يمكنه أن يفعل لها شيئاً، سيكونون في مكان عام، سيكلمها وينتهي كل شيء.

مع أنها نامت ساعة واحدة إلا أنها نهضت بنشاط كبير، وذهبت إلى الجامعة بحماس جديد، كانت ملتصقة بديما أكثر

من أي يوم مضى، وكأنها من سيحرر حبل المشنقة عن رقبتها، كانت كلما اختلت بها سألتها عن توقعاتها عن مدى نجاح هذه المجازفة، في حين كانت ديما تردد أنها ستحاول أن تقنع ذلك الشاب أن يتركها وشأنها.

لكن حماسها ومع مرور الوقت بدأ يفتر، وبدأت تشعر بتلك الأعراض التي أعقبت صراخه بالفضيحة، لا تدري كيف وافقت أن تقوم بمغامرة مثل هذه.

عصراً اتصلت بديما تحاول أن تغير من خطتها، لكن ديما ذكرت أن الشاب لا بد أنه هناك ينتظرهما، وأن أي تغيير في الخطة قد يفهمه الشاب على أنه تلاعب به، لذا فمن الأصلح أن تذهبا سريعاً.

ركبت غدير خلف سائقها إلى منزل ديما، ثم انطلقت الاثنتان إلى المجمع التجاري في مغامرة كانت غدير تدعو الله أن تأتي بحل لأزمتها ومحنتها، وأن تستطيع ديما بقوتها أن تنهي الموضوع.

في السيارة كانت غدير تبث لديما بصوت خافت خشية أن يسمعها السائق عن خوفها ورجائها بنهاية لمشكلتها، وفي لحظات



ضعف كانت تقترح عليها أن تعودا أو تتجها إلى سوق آخر.

وصلت الاثنتان إلى المجمع التجاري وترجلتا في خطا بطيئة نحو مغامرة مجهولة، سارتا نحو المكتبة التي تقبع في زاوية السوق وبدأ قلب غدير يخفق وهي تمسك بيد ديما.

كانت المكتبة شبه خاوية عندما دلفا إليها، تجولتا فيها وهما تنظران في كل اتجاه، وعندما وصلتا إلى ركنها البعيد ظهر الشاب عند بوابة المكتبة، هنا تمتمت ديما:

- يمة وش هالشاب يا غدير .. والله إنك خبلة .. هذا أحد يكلمه ؟!

لم ترد غدير ولم تنبس ببنت شفة، بل شددت من الإمساك بيد ديما وهي تراه يتقدم نحوهما وهو يلتفت خلفه، وعندما وصل إليهما انحنى يلتقط كتاباً ويرفعه وهو يقول:

- ما بغيت أشوفك ..

ردت غدير بصوت متحشرج:

- هذا أنت شفتني .. يالله مع السلامة..

- اصبري ..

هنا صرخت ديما فيه قائلة:

- **وش تبغى منها ؟ قاعد تهددها ما تخاف الله .. ما عندك أخوات؟**

- **مين الأخ؟**

- **مين الأخ؟ الله يعميك .. المهم إذا ما وقفت عند حدك ترانا نعرف كيف نوقفك..**

هنا جذبت غدير يد ديما، وخرجتا خارج المكتبة، وأسرعتا نحو السلم المتحرك تهبطان درجاته في رغبة صريحة في الهروب، حتى ديما كانت تسرع الخطا معها نحو سيارة الفان السوداء.. لكنها تظاهرت بالشجاعة وهما تستويان داخلها:

- **وش فيك؟ ليش ما تركتيني أتفاهم معاه..**

- **مدري ما طقت أشوفه ... بغيت أطيح مغمى علي ..**

- **أعوذ بالله يا شين شكله ..**

- **تتوقعين خلاص راح يتركني ..**

- **مدري .. لكن زي ما قلت لك طنشيه واكسري الشريحة ولا يجي في بالك ..**

لم تؤت تلك المغامرة ثمارها، طمع فيها الشاب أكثر، وظل ينثر إليها رسائل كثيرة مساء ذلك اليوم، مكرراً وعيده وتهديده، وتصميمه على مقابلتها وحيدة دون أن يعكر أحد صفو لقائهما.

ندمت غدير كثيراً على قرارها مقابلة ذلك الشاب، لم تقدم لها تلك المقابلة إلا الهلع والخوف، وجعل الشاب يطمع فيها.

استغربت أمها أن يحصل لها كل هذا لمجرد خاطب تقدم لها، شحوب وجه، وكآبة واضحة، وفي المقابل قالت لها إن تلك الحالة ستزول بعد الزواج بيومين أو ثلاثة، وستسير الأيام سلسة بعد ذلك.

تنهدت في داخلها قائلة: أماه أنت لا تعرفين خبايا الموضوع، المشكلة ليست في شاب توافق عليه، بل شاب تخاف من مكره ودناءته، الموضوع فضيحة منتظرة قد ترميها في قاع سحيق، في عالم آخر لا تعرف له شكلاً أو ماهية.

طمأنتها أنها ستكون بخير، كما أنها ستقول كلمتها الأخيرة قريباً..

في ليلتها تلك لم تكن الصورة واضحة، هل تفشي السر

لأبيها؟ هل ترمي بثقل طامة من على ظهرها؟ لماذا تلجأ إلى حلول ضعيفة؟

في تلك الليلة كانت تصحو ليلاً على كابوس مفزع، كانت تراه وقد اقترب منها ولمس جسدها، كانت تركض في ممرات ذلك السوق وهو يركض خلفها ويكاد يمسك بها، والناس من حولهما يرونهما ولم يتحركوا لإنقاذها منه رغم صراخها الذي يملأ المكان.



١٩

كانت وحيدة في قاعة المحاضرات لم تحضر ديما ولا العنود، عقلها شارد، أستاذة التاريخ الأموي تدخل وتسلم، ترد مجموعة من الطالبات، بينما أخريات يتبادلن الرسائل الورقية، وهناك من يرد على رسائل البلاك بيري، بينما هي فتحت كشكولها وبدأت تخط على ورقة بيضاء خطوطاً متشابكة، خطوطاً غير مفهومة.

كتبت أستاذة التاريخ الأموي على السبورة البيضاء وبالقلم الأسود" تاريخ الدولة الأموية .. الخليفة الثالث " ثم التفتت إلى الطالبات قائلة:

سنتحدث اليوم عن الخليفة الأموي الثالث، ويدعى معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .. وهو غير مشهور البتة، وهناك من المؤرخين من لا يعده من الخلفاء الأمويين، فهو لم يتولَّ زمام الأمور، بل تخلى عنه لضعفه وهوانه.

هذا الخليفة يعرف بمعاوية الثاني, ثالث خلفاء بني أمية وصل إلى الخلافة بعد أبيه يزيد في سنة ٦٤هـ كانت خلافته ثلاثة أشهر وقيل أربعين يوماً, وبعدها صعد المنبر وأعلن تركه للخلافة.

لما حضرته الوفاة اجتمعت إليه بنو أمية فقالوا له: اعهد إلى من رأيت من أهل بيتك، فقال: واللّه ما ذُقْتُ حلاوة خلافتكم فكيف أتقلّد وزرها. وتتعجلون أنتم حلاوتها، وأتعجل مرارتها، اللهم إني بريء منها متخل عنها، اللهم إني لا أجد نفراً كأهل الشورى فأجعلها إليهم ينصبون لها من يرونه أهلاً لها، فقالت له أمه: ليت أني خرقة حيضة ولم أسمع منك هذا الكلام، فقال لها: وليتني يا أماه خرقة حيض ولم أتقلد هذا الأمر، أتفوز بنو أمية بحلاوتها وأبوءُ بوزرها وَمَنْعِها أهْلَها؟ كلا! إني لبريء منها .. أرأيتم منطقاً أعوج مثل هذا الخليفة الضعيف؟!

عموماً توفي هذا الخليفة وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، ودُفن بدمشق.

في كافتريا الكلية كان هذا الخليفة موضع تندر كثير من الفتيات وكان موضوع نقاش بينهن ..

- **هالخليفة مو صاحي ! أحد يترك الخلافة .. لو أنا مكانه كان آمر وأنهي وأسوي كل اللي في بالي .. قالت إحدى الفتيات ..**

- **يمكن عنده ظروف .. يمكن ما كان عنده استعداد ..**

التاريخ ليس له إلا الظاهر.. حاولت غدير الدفاع عنه..

- أي استعداد وأي ظروف .. إلا أنت اللي مسكينة .. الرجال صار خليفة وتقولين ما عنده استعداد؟!

- أنت عارفة يوم مات كم كان عمره؟ الدكتورة تقول ٢٢ يعني صغير بالمرة ..

- يا غدير هذا العمر في زمنهم كان الواحد منهم يقود جيوش، لكن الخليفة هذا واضح أن ما عنده سالفة.. أو أنه من الإيمو مثلك وما حد يعرف وقتهم وش الإيمو ..

ثم ضحكت بأعلى صوتها.. وضحك معها ثلة من الطالبات..

تغير وجه غدير، شعرت أنها ضعيفة بأفكارها، بل وضعيفة بقدرتها على الرد والتعاطي مع الآخرين. احمر وجهها وشعرت بنظرات الأخريات لها وهي تستمع لرد الفتاة القوي عليها.

آثرت أن تنسحب متعللة بأنها تريد مقابلة إحدى الأستاذات، هناك كانت تهيم في ممرات الجامعة وهي تفكر كم كانت ضعيفة، وكم كانت غير قادرة على أن تدلي بوجهة نظرها بطريقة واضحة.

ثم يا ترى لماذا انبرت تدافع عن ذلك الخليفة الضعيف؟

هل لأنه يشبهها في ضعفها؟ أم تراها شعرت عندما يكون الأمر أقوى منه؟ وعلى كل لم يكن من اللائق أن تحرك لسانها تدافع عنه.

في طريقها قابلت سارة، كانت آخر من تتمنى أن تقابله، حاولت أن تتحاشاها، لكن الفتاة كانت تقصدها، فأوقفتها قائلة:

- **غدير ممكن أتكلم معاك في موضوع ضروري..**

- **ممكن تأجلينه أنا مشغولة يا سارة ..**

- **ما راح أطول عليك دقيقة لو سمحت..**

- **تفضلي .. قالتها بامتعاض..**

- **حقيقة أستغرب منك يا غدير وأنت البنت العاقلة الفاهمة.. كيف أنك تنتسبين إلى جماعة الإيمو، وأنت عارفة أن هذا لا يليق بفتاة الإسلام ..**

- **يا سارة صدقيني الموضوع مو مثل ما أنت فاهمة ..**

- **كيف أصدقك وأنت لابسة أسود.. وشعرك على عينك .. ووجهك كله حزن وتقولين إنك مو إيمو.. يا غدير أقول لك هالكلام من حبي لك ومن مصلحتك.. يا غدير يوم**

القيامة الكل راح يبعث على اللي كان عليه.. هل يرضيك أنك تبعثين وأنت شكلك كذا؟ كحل كثيف حول عيونك وشعر نازل على وجهك وحزن وكآبة؟

لم تستطع غدير أن ترد، لكنها وقفت في مكانها تاركة سارة تنهي حديثها كما يحلو لها..

- غدير حنا أمة الإسلام قدوتنا أمهات المؤمنين، والصحابيات رضي الله عنهن، مو إيمو وأشكال تخرع ..أنت عارفة يا غدير لما اطلعت على الإيمو على الإنترنت وش لقيت؟ لقيت بلاوي الله يحفظنا.. لقيت أن الإيمو شواذ والعياذ بالله .. وهم أقرب الناس إلى الإلحاد والكفر بالله ..

انتفضت غدير لما سمعت كلمتي الإلحاد والكفر فحاولت أن تدفع عن نفسها هذه التهمة، لكن سارة لم تعطها الفرصة ..

- أنا عارفة أنك بتقولين حنا بنات نصلي ونصوم ونعبد الله .. لكن وش فايدة كل هذا وأنتم ما عندكم توكل على الله، بعضكم إذا أصابته مصيبة صار يبكي وتحول إلى إيمو؟ وين التوكل على الله وين تطبيق الآية الكريمة " الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون"؟

غدير أنا أعرف أني طولت عليك لكن هذا من حبي لك ومن واجبك علي .. أدعو الله من كل قلبي أن يحفظك ويهديك ..

حين تركتها سارة كانت في وضع نفسي لا يطاق، كرهت كل شيء على هذه الأرض، لم تجد شيئاً واحداً على ترابها تراه جميلاً، قررت الخروج من الجامعة، أصبحت وكأنها سجن كبير، ومصدر للألم والشعور بالكآبة.

فكرت بالاتصال بديما لكنها تراجعت خشية أن تسألها عن سبب نكدها، وستنتهرها حتماً على سكوتها على كلام سارة، لكنها اتصلت بسائقها وطلبت منه الحضور حالاً.

في دقائق انتظارها للسائق اتصلت بالعنود، وسألتها عن سبب غيابها، أخبرتها أن والدها نقل إلى المستشفى ليلة أمس وهو الآن في حالة حرجة، والأطباء يقولون أمله بالحياة ضعيف.

بكت العنود، وظلت غدير تحاول تهدئتها، وهي تتساءل في نفسها عمن سيعمل على تخفيف الألم في داخلها ..

عادت العنود تقول:

تعرفين يا غدير وش راح يصير لو مات أبوي .. راح يتخلصون

مني إخواني .. راح يزوجونني إلى أي رجال أو يرموني في أي مستشفى نفسي أو دار للرعاية الاجتماعية.. ما راح يفرطون في البيت اللي أنا فيه، بيجيب لهم مبلغ محترم بيتقاسمونه بينهم.

في غرفتها كانت حالتها سيئة، تفكر فيما وصلت إليه من ضعف، الجميع ينهشها وهي غير قادرة على أن تدافع عن نفسها، الجميع يصرخ في وجهها وهي تتوارى خلف حيائها، الجميع يتجرأ عليها مستغلين ضعفها.

أحداث هذا اليوم كانت حاضرة وبقوة في ذهنها، لم تقدر معها أن يغمض لها جفن، تقلبت كثيراً وهي ترى في كل ناحية صوراً مختلفة.

الشاب والتعامل الخطأ معه، قرار المقابلة لم يكن قراراً صحيحاً، كل شيء تعاملت معه بكل رعونة وقل تفكير، كانت ترى نفسها تغوص في بحر أخطاء لا ينتهي ..

بكت كل ضعف فيها وهوان، انتحبت خوفها من مواجهة مشكلاتها، وتألمت من عدم قدرتها على الدفاع عن أفكارها وآرائها.

تساءلت ماذا ينقصها كي تكون مثل ديما؟ فتاة واثقة من



نفسها ترد على الجميع دون وجل، وتجد الاحترام والتقدير، الكل يهابها وفي نفس الوقت يحترمها..

عندما تفحصت جوالها وجدت رسائل أخرى، لكنها لم تكن مثل سابقتها، في هذه المرة قال لها إنه تبعهم بسيارته وعرف بيتها، ولا فائدة من الهروب.

ارتجفت رعباً، كانت واقفة فسقطت على الأرض، واستندت إلى سريرها تقرأ الرسالة مرة بعد مرة، أسرعت تطل من نافذتها تبحث عنه، لم تجد شيئاً، قررت أن تنزل عند أمها تختبئ منه، أو تتصل بأبيها تطلب منه أن يحضر، لكنها تراجعت .. خوف كبير كان يمنعها، ما زال بصيص أمل يلوح من بعيد.

أغلقت غرفتها وراحت تبكي بلا توقف، دقائق مرت وهي في حالة قريبة من الانهيار، في لحظة نظرت إلى نفسها في تسريحتها، ظلت تردد دون وعي: لقد وصل إلى بيتي.. ماذا بقي بعد ذلك؟ هل أنتظر أن يدخل علي غرفتي؟!

في لحظة تصميم قوية قررت أن تخلع عباءة الخوف، أن تهزم الضعف في داخلها، أن تكون فتاة أخرى، وقفت أمام مرآتها وأخذت تشحن نفسها:

يجب أن أضع حدّاً لهذه المشكلة .. يجب أن أكون شجاعة ولا أتستر خلف قناع الإيمو ، يجب أن أكون أقوى مما أنا عليه الآن.. يجب أن أظهر شجاعة أكبر ..

لماذا أنا بهذا الضعف؟ لماذا أنا بهذا الخوف؟ يجب أن أواجه مشكلتي بنفسي.. سأهزمها ولن أضعف أمامها ..أنا الآن مخطوبة وغداً سأكون زوجة و قريباً سأصبح أمّاً .. فهل أستمر في ضعفي هذا؟ سأكون لعبة للجميع يلهون بها كيفما شاؤوا..

غسلت وجهها وأزالت الكحل والظل، ورفعت شعرها إلى الأعلى، وربطته من الخلف، وأخرجت ملابس بألوان فاتحة، وتخلصت من ملابس الخوف والانطواء ..

تحركت بخطا واثقة نحو هاتفها النقال، واتصلت بالشاب، وحين تسرب صوته من الجهة الأخرى صرخت فيه:

- **وش تبي مني ؟**

- **أبي أشوفك ..**

- **ما شفتني أمس؟**

- **ما تكفي .. وبعدين طلعتم بسرعة .. على فكرة من هذيك اللي تصارخ.**



- ما لك شغل .. ليه تبي تشوفني؟

- لا تصيرين غبية ..

- احترم نفسك لو سمحت..

- صورك في جوالي .. ما طاوعني قلبي أمسحها..

- والنهاية؟

- أبي أشوفك ولا ..

- ولا ايش؟

- أنت تعرفين وش أقصد..

- وين تبغى تشوفني؟

- أي مكان تختارين .. أهم شيء نكون لحالنا ولا أشوف هذيك القشراء اللي معاك ...

- ممكن تعطيني فرصة ساعة واحدة فقط عشان أختار مكان مناسب..

- ساعة واحدة بس .. بعدها اعذريني إذا شفت صورك على اليوتيوب .. أو وضعت سي دي فيه تسجيل لمكالمتين تحت بابكم .. مع إهداء صغير لبابا ..

مغص قوي ضرب بطنها، وقلبها شرع يضرب طبوله، ورعب شديد سيطر عليها، الجملة الأخيرة شلت تفكيرها، أطاحت بها على سريرها ترتجف رعباً.

تصميم كبير على التصرف بسرعة، يجب أن توقف هذا المجنون عند حده، البكاء والألم لن يفيد، الاختباء في غرفتها وتمني أن تنتهي مشكلتها لن ينفع ..

فجأة وجدت الحل وشرعت في تنفيذه ..

خرجت من بيتها بعد أن قالت لأمها: ساعتان فقط وأعود، سأذهب إلى المكتبة لأشتري بعض كتب الجامعة.

عندما وصلت إلى المكتبة طلبت من السائق أن ينتظرها، بعد دقائق خرجت مرة أخرى من المكتبة ووقفت بعيداً عن البوابة، وقفت أمامها سيارة أجرة فأسرعت تركبها، وانطلقت إلى هدفها المنشود.

كانت مصممة أن تنهي هذه اللعبة، أن تضع حدّاً لهذه الحياة المؤلمة..

وصلت إلى شقق مفروشة، "الحياة السعيدة للشقق المفروشة"، وقفت أمام موظف الاستقبال ثم استلمت مفتاح

الشقة رقم "٣ " ، وقبل أن تكتمل الساعة كانت تتصل به..

- أنتظرك ..

- وين؟

- الحياة السعيدة للشقق المفروشة .. طريق الملك عبد العزيز .. شقة رقم " ٣ "

- ما لقيتي غير هالمكان؟

- هذا أفضل مكان .. راح أجلس هنا ساعة واحدة .. إذا ما جيت ترى ما أقدر أقابلك مرة ثانية .. بعد كذا سو اللي يعجبك .. ما عاد يهمني ..

أغلقت الاتصال وهي تدعو الله أن يأتي، تريد الخلاص من هذا الكابوس، كانت تذرع الشقة طولاً وعرضاً بعباءتها، وترفع يديها بالدعاء أن يمر كل شيء بسلام.



20

دقائق مجنونة مرت وقلبها يخفق بشدة، ترى هل تسرعت؟ هل أخطأت التصرف؟ هل ستنتهي المشكلة بهذه المقابلة؟ بل هل تهرب وتعود إلى رشدها؟

بعد عشرين دقيقة كان جرس الشقة يرن، ومعه زاد خفقان قلبها، نظرت من العين السحرية فوجدته واقفاً بوجهه الأسمر المرعب، جسمها يرتجف، وعرق ينساب بشدة على جسدها، أنفاسها تسارعت كمتسابق قطع أميالاً من الجري المتواصل..

فكرت أن لا تفتح، لحظة تراجع أصابتها، عاد الرنين مرة أخرى، كان مثل خنجر يمزقها إلى نصفين، تشجعت وأدارت أكرة الباب.

دخل الشاب وتراجعت إلى الخلف، أغلق باب الشقة وتقدم نحوها، كانت تتراجع إلى داخل الشقة بينما كان يتقدم ببطء وهو يقول لها:

- **غيداء .. لا تخافين .. أخيراً قابلتك لحالنا ..**

تراجعت حتى التصقت بجدار الصالة، وهو يتقدم كذئب مفترس مادّاً يده نحوها، أخذ يطمئنها:



- غيدا صورك معي .. راح أمسحها .. خليك هادية.. أبيك تكونين واثقة مني .. تعالي لا تخافين .. شوفي هذي صورك راح أمسحها الحين ..

اقترب الشاب حتى لامس جسدها، هنا خرج ثلاثة من أفراد الشرطة كانوا مختبئين داخل الغرف المغلقة، وقبضوا على الشاب وهو في حال ذهول، وقادوه أمامهم.

انزوت غدير في مكانها تبكي ، فتقدم منها النقيب فهد وهو يقول:

- كنت قوية يا بنتي .. الحمد لله أن الخطة سارت مثل ما رسمناها، سمعنا كل شيء .. وراح ينال جزاءه .. الحين تقدرين ترجعين بيتك .. وكما وعدتك ما راح يعرف أحد بالموضوع .. تبين أحد من الأفراد يوصلك البيت؟

- لا .. بأرجع مع ليموزين ..

كانت في سيارة الأجرة كقائد جيش عاد منتصراً بعد أن عاش أياماً عصيبة، كانت تبكي في السيارة بشكل أثار سائقها، بعد دقائق توقفت تكفكف دموعها وتحمد الله كثيراً أن الأمور سارت كما فكرت فيها، فقد قادها تفكيرها السليم أن تلجأ إلى رجال الأمن، ذهبت إلى مركز الشرطة القريب، وطلبت مقابلة

مدير المركز، هناك دلوها على النقيب فهد، وشرحت له الموضوع كاملاً، كان أباً رحيماً وهو يعدها بأن يكون كل شيء على ما يرام، قال لها بنبرة هادئة: لي ابنة في مثل سنك، وأعرف ماذا يعني تهديد فتاة منحت الثقة لشاب لا يستحق.

أعد الخطة وطلب منها أن تذهب لتلك الشقق السكنية هناك ستجد حجزاً باسم غيداء .. إمعاناً في تضليل الشاب الذي بالفعل وقع في الفخ بعدما تحقق من الاسم، ليدخل المصيدة بقدميه.

اتصلت بالعنود وديما وأخبرتهما بخبر الخلاص، حكت لهما بصوت عالٍ والدموع تنهمر من عينيها أن الشاب الآن في قبضة رجال الأمن، صرخت فيهما أن أيام العذاب قد انتهت، وأن الإيمو قد ولى بلا رجعة، فلم يعد له سبباً، لقد عادت فتاة تعيش حياتها العادية.

أنهت غدير المكالمة سريعاً بعدما وجدت هاتفها القديم يومض باتصال من النقيب فهد، خفق قلبها، خافت أن الأمر لم ينته بعد.

- أيوه ..

- عفواً على إزعاجك .. ولكن أحببت أن أخبرك أن الشاب اعترف بتهديده لك ولعدد من الفتيات وجدنا صورهن

في جواله، وقد مسحنا كل الصور بعد إثبات الحالة، وبعد لقينا في سيارته قطعة حشيش، وهذي راح توديه في داهية .. أتوقع أنه ما راح يطلع من السجن قبل خمس سنين ..

- ما يهمني كم يمضي في السجن، بقدر أن يعرف أنه كان يسلك الطريق الخاطئ.

- هذا دورنا يا بنتي .. وشي ثاني مهم .. الشاب أنكر انه يعرف بيتكم .. ويقول حبيت أخوفها بس .. عموماً يا بنتي ما حصل هو درس لك في المستقبل.

- أقدر لك كل ما فعلته عشاني حضرة الضابط .. وأنا عرفت الدرس زين وعشان كذا لجأت إليك بعد الله عز وجل.. وقريباً راح تجيك دعوة مني لحضور زواجي..

- راح أحضر بإذن الله .. في حفظ الله يا بنتي ..

دخلت المنزل بروح أخرى، بحثت عن أمها، كانت ترتب غرفة الأطفال، وقفت ترقبها وهي متكئة على الباب، أحست أمها بها، عندما التفتت إليها، عاجلتها غدير قائلة:

- ماما أنا موافقة..

ثم أسرعت إلى غرفتها تسجد لله شكراً وهي تبكي.





21

عندما تفتح عينيها صباحاً لا تكاد تصدق أن الحادثة قد انتهت، أن أيامها العصيبة قد ولت، وأن فضيحة على اليوتيوب كانت تقتلها كل يوم وتخنقها كل ليلة قد أصبحت سراباً.

أحياناً تبكي وهي تحمد الله، وأحياناً تبتسم سعيدة بقوتها التي جلبت لها الأمن، لم يعد هناك شيء يقلقها ويجعل أعصابها تحترق، ما كان يرعبها هو خوفها أن تسقط فجأة من كثرة ما تحملت، تخشى أن تنهار فجأة أمام أهلها، حينها قد تضعف وتعترف بكل شيء.

كانت تعيد لحظات ذهابها إلى مركز الشرطة، ولحظات انتظارها في الشقة، تذكرت أنها فكرت بالهرب والاعتذار للضابط، لكنها حمدت الله أنها مضت قدماً في تنفيذ الخطة.

لم تكن تريد أن يجرها الماضي بآلامه، عليها الآن أن تعمل على الاستعداد للزواج، فقد حدد الشاب وقتاً قريباً، معللاً ذلك بقرب موعد دراساته العليا في الولايات المتحدة.

سحبت غدير ملفها كاملاً من الجامعة، وقررت دراسة اللغة

الإنجليزية هناك، محققة أمنيتها التي طالما حلمت بها، باتت تعرف أن الأمنيات لا تتحقق بالبكاء عليها أو التحسر على ضياعها.

في سباق مع الوقت هرعت تجهز كل شيء، في كل يوم تقريباً تذهب إلى السوق برفقة أمها أو ديما التي كانت تحكي لها وهي تضحك كيفت تمت مراسم الرؤية الشرعية، وكيف دخلت على خطيبها أول مرة، كان حيياً لم ينظر إليها سوى خلسة، وكانت كذلك، كلاهما كان حيياً من الآخر، ضحكت بقوة عندما تذكرت أنها كادت تدلق العصير على ثوبه.

في كل ليلة كان يتصل بها، شعرت بانقباض في القلب أول مرة، تذكرت ذلك الشاب وتهديده، لكنها سرعان ما نسيته، لعله الآن قابع في سجن مع مجموعة من المنحرفين، هناك سيعرف كم أخطأ بحقها وحق غيرها.

نسجت مع خطيبها حياتها الجديدة، عرفت الفرق بين صديق عابر وزوج قادم، حكت له عن رغبتها في دراسة اللغة الإنجليزية، تريد أن تغير تخصصها، كانت غبية جدّاً عندما قررت أن تدرس التاريخ، ورغم جماله إلا أنها كانت تتمنى أن تدرس اللغة الإنجليزية، تريد أن تقرأ الروايات الإنجليزية، وأن تفهم

الأفلام الأجنبية.

حكت له عن حبها للقراءة وكم عليها أن تحمل معها من كتاب إلى بيت الزوجية، فلا يمكن لها أن تستغني عن كتبها ورواياتها، كانت تقص له في كل ليلة عن أجمل الروايات التي قرأتها.

وفي المقابل كان سعيداً بها وبثقافتها، وبطريقتها في الحديث، أكد لها عن سعادته بأنها ستكون زوجة المستقبل، ساق لها أحلاماً جميلة عن بناء عش لهما، وعن مستقبل جميل ينتظرهما.

سارت الأيام سريعاً وأقيم حفل زواجها في قاعة رائعة، حضره الكثير من الأهل والأقارب والأصدقاء، وكانت قمراً مضيئاً في ليلتها، في تلك الليلة اصطف حولها الكثير من الفتيات وحضر فتيات الإيمو كلهن، وبقيت العنود، التي كانت ملازمة لأبيها في المستشفى قبل أن ترتفع روحه إلى السماء.

ها هي الآن في صالة المغادرة في مطار الملك خالد، تنظر إلى زوجها وهو يدفع عربة الحقائب نحو سير الأمتعة ويستلم كرتي صعود الطائرة، كم كانت فخوراً به، وكم كانت ثقتها في نفسها أكبر.



ارتفعت الطائرة بهما، وحلقت فوق سماء الرياض، ألقت غدير نظرة من نافذتها على أنوار الرياض الساطعة، تلك الأنوار التي كانت تثيرها، طفقت تفكر أين منزلهم، بل أين غرفتها، ذلك المكان الذي عاشت فيه ألماً لا يطاق، شهرين من الكآبة والحزن والخوف.

تلك الليلة التي ودعت غرفتها كان شعورها مختلطاً بين الفرح والحزن، فرح بالابتعاد عن مكان كان يذكرها بأيام من الحزن، وحزن على سنوات وهي تعتبرها ملاذاً ومكاناً آمناً تلجأ إليه إذا اشتدت الدنيا ظلمة.

تذكرت بساطتها .. لهوها .. تسليتها .. رواياتها .. ابتسمت من مرحلة الإيمو التي مرت بها، ضحكت من أشياء كثيرة، وخفق قلبها لمواقف أخرى، ودمعت عيناها لصور مختلفة.

غادرت الطائرة أجواء السعودية وبدأت تحلق في أجواء أخرى، وكانت روح غدير تحلق أيضاً في عوالم جديدة جميلة، تاركة وراءها ذكريات كثيرة، وحكايات ملونة، تركت ديما وهي منهمكة في عالم الإيمو، تعقد الاجتماعات المختلفة، ويرقص الجميع على أنغام الروك، بينما انكمشت العنود في غرفتها بعد

موت والدها تكتب خواطرها منتظرة اللحظة التي يرميها إخوتها خارج حدود الحياة.

وجدت يد زوجها تمتد إليها، شعرت أن حياة أخرى مختلفة تنتظرها، عليها أن تنبذ الماضي الآن لتعيش الحاضر بجماله، عليها أن تنسى كل صورة مؤلمة كي تستمتع بكل لحظة سعادة قادمة.

الرياض

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

المؤلف : عبدالله ناصر الداوود

حاز جوائز عدة في القصة والمسرح والمقالة

صدر له:

- رائحة الموت (قصة طويلة) / دار الكفاح
  - الطبعة الأولى ٢٠٠٨
  - الطبعة الثانية ٢٠٠٩
  - الطبعة الثالثة ٢٠١٠
- رجل وخمس نساء (رواية) / دار الفكر العربي
  - الطبعة الأولى ٢٠٠٩
  - الطبعة الثانية ٢٠٠٩
  - الطبعة الثالثة ٢٠١٠
- طقوس الروائيين / حوارات مع روائيين عالميين وعرب / دار الفكر العربي
  - الطبعة الأولى ٢٠١٠
- ليالي القاهرة / دار الفكر العربي
  - الطبعة الأولى ٢٠١٠

الموقع الشخصي : www.alglm.net

البريد الإلكتروني : abdulladawood@hotmail.com

رواية
NOVEL

عبد الله ناصر الداوود

فتاة YouTube

تمددت على سريرها تستمع إلى كلمات المديح التي شرع يمطرها بها، وشعرت بجسدها يطير بين سحب رطبة، وفراشات ملونة، وطيور مغردة ، فوق عشب أخضر وورود حمراء وصفراء، تهبط قليلاً لتقطف منها وردة تضعها على شعرها الذهبي الـذي يتموج مـع الـهـواء يلثم شفتيها وخديها ثم يعلو خلف رأسها.


ISBN 978-996-58-601-4
9789960586014

